طرف ونوادر من عيون التراث العربي

المنتخب من بطون كتب التراث

من بستان تالتراث العربي الذاخر،وهو من أهم مراحل التراث الأنساني

هذه المختاراتً

إعداد : علي مولا



من فاكهة الأدب العربي.. ثمار من كل الألوان

نوادر وحكايات ..طرف تطرب لها النفوس دون دفع فلوس ..

أدب الفكاهة من الآداب الشيّقة والممتعة فهي نزهة النفس وربيع القلب ومرتع السمع ومجلب الراحة ومعدن السرور .

فالفكاهة انتشرت علي مر العصور والتاريخ الأدبي لكل شعوب الأرض، وبينت ما لحاجة الفرد والمجتمع من أدب كهذا.

والضحك حسب ما توصل إليه العلم الحديث يعيد للإنسان أنسه وأمله وطبيعته، بل انه يسهم في شفاء بعض الأمراض التي أصابت عالمنا المعاصر، ولذلك كانت الفكاهة تطغي عقب المحن التي تمر بها الشعوب، فينتشر المسرح الكوميدي والشعر الساخر والمواقف الضاحكة .

بل إن الفكاهة كانت تفرض نفسها حتى علي الكتاب الذين التزموا بالجد وتناولوا موضوعات في غاية الجدية، كـ(عيون الأخبار لابن قتيبة)، والإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي) كما أفردت كتب للفكاهة كـ(البخلاء للجاحظ) و(الظراف والمتماجنون لابن الجوزي) و(الفاشوش في حكم قراقوش لابن مماتي)

وبعد، فإن أدب الفكاهة من الآداب المهمة والحية في حياة الإنسان، وهي تفرض علينا أن نرفدها وننميها لأنها شكل سامٍ من أشكال التعبير عن هموم الناس والترويح عنهم وتخليصهم من الهموم وأعباء النكسات.

..اقتباس



فلسفة البخلاء

وقلت للحِزَامى مَرَّةً: قد رضيتَ أنْ يُقالَ: عَبْدُ اللهِ بخيلٌ قال: لا أَعْدَمَنِى اللهُ هذا الاسمَ.

قلت: وكيف؟

قال: لايُقالُ فُلاَنٌ إلا وهو ذو مَالٍ فَسَلِّمْ إلىَّ المالَ وادْعِنُى بأى اسم شِئْتَ قُلْتَ: ولا يقالُ فلانٌ سَخِىٌّ إلا وهو ذو مالٍ فقد جَمَعَ هذا الاسم الحَمْدَ والمَالَ واسْمُ البخل يجمع المالَ والذمَّ، فقد اخترتَ أخَسَّهُما وأوضَعَهُما

قال: وبينهما فَرْقٌ.

قلت: فَهاتِه.

قال: فى قولهم بخيلٌ تَثْبِيتٌ لإقامةٍ فى مُلْكِه، وفى قولهم سخىٌّ إخبارٌ عن خُرُوجِ المال من مُلْكِهَ، واسمُ البخيلِ اسمٌ فيه حفْظٌ وذَمٌّ واسمُ السخى اسمٌ فيه تَضْيِيعٌ وحَمْدٌ، والمالُ زَاهِرٌ نافعٌ مُكْرِمٌ لأهله مُفْرٍ والحمُد ريحٌ وسُخْرِيَةٌ واستماعُكَ له ضَعْفٌ وفُسُولَةٌ[1] وما أقَلَّ

غَنَاءَ الحمد ـ والله ـ عنه إذا جاع بطْنُهُ وعَرِىَ جِلْدُهُ وضَاعَ عِيَالُهُ وشَمِتَ به من كان يَحْسُدُه.

تحذير من بخيل

حدثنى أبو عبد الله محمدُ بن فَتُّوح الأندلسى قال: كتب بعضُ الأدباء إلى بعضِ إخوانه يُشَاوِرُهُ فى قَصْد بعضِ الرؤساء تأميلاً له واستدعاءً لنائله وكان معروفًا بالبخل فكتَب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم. كتبتَ إلىَّ تسألُنى عن فلانٍ وذكرتَ أنك هَمَمْتَ بزيارته وحدثتَ نفسَكَ بالقدوم عليه فلا تفعلْ - أمْتَعَ اللهُ بك - فإنَّ حُسْنَ الظنِ به لا يقع إلاَّ بخُذْلانٍ من الله وإن الطَمَعَ فيما عنده لا يَخْطُرُ على القلوب إلا من سوء التوكلِ على الله، والرجاءُ لما فى يديه لا يَنْبغِىَ إلا بَعْدَ اليأسَ من رَوْحِ الله لأنه رجلٌ يرى التقتيَر الذى نهى اللهُ عنه هو التبذيرُ الذى يُعَاقبُ عليه، وأن الاقتصاد الذى أَمَرَ اللهُ به

هو الإسرافُ الذى يعذِّبُ عليه، وأنَّ بنى إسرائيل لم يَسْتَبْدلوا العَدَسَ بالمنِّ والبَصَلَ بالسلوى إلا لفَضْلِ أَحْلامهم وقَديم علمٍ تَوارَثُوه عن آبائهم، وأنَّ الضيافةَ مدفوعةٌ والهِبَةَ مكروهةٌ وأن الصدقة منسوخَةٌ وأن التوسعَ ضلالةٌ والجُودَ فِسْقٌ والسخَاءَ من هَمَزَاتِ الشياطين. . .

وهل يَخْشَى العقابَ إلا على الإنفاقِ ويرجو العفَو إلا على الإمساكِ ويَعِدُ نَفْسَهُ بالفقر ويأمُرُها بالبخلِ خِيفَةَ أن تنزلَ به قَوارِعُ الظالمين ويصيبَهُ ما أصاب الأولين. فأقم - رحمك الله - بمكانك واصْبِرْ على عَضٍّ زَمَانك وامْضِ على عُسْرَتِكَ عسى اللهُ أن يُبْدِلَ لك خيرًا منه زَكَاةً وأقربَ رُحْمًا.

حيـــلة بخيـــل

كان زيادُ بنُ عـبيـد الله الحارثي واليًـا على المدينة وكان فـيه بُخْلٌ وجَفَاءٌ، فَأَهْدَى إليه كاتبٌ له سلاَلاً فيها أَطْعِمَةٌ وقد تَنَوَّقَ فيها فوافَتْهُ وقد تَغَدَى فـقال: ما هذه؟ قالوا: غَـدَاءٌ بعثه فلانٌ الكاتـب فغضب وقال: يَبْعَثُ أحـدُهم الشيءَ في غيرِ وقته - يا خَـيْثَمُ بن مالك يريدُ صَاحِبَ شُرْطَتِه، اُدْعُ لي أَهْلَ الصُّفَّة يـأكلون هذا فبعث خيثمٌ الحرسَ يدعونـهم فقال الـرسولُ الذي جاءَ بالـسلال: أصلحَ اللهُ الأمـيرَ لو أمرت بهذه السلالِ تُفْتَحُ ويُنْظَرُ ما فيها.

قال: اكْشِفُوها؛ فإذا طعامٌ حَسَنٌ من دَجَاجٍ وفِرَاخٍ وجَداءٍ وسَمَكٍ وأَخْبِصَة وحَلْوَاء فـقال: ارفعوا هذه السلالَ وجاء أهلُ الصُّفَـة فأُخْبِرَ بهم فَأَمرَ بإحضارِهم وقال: يا خيثمُ اضْرِبْهُم عَشَرَةَ أسواطٍ فإنه بَلَغَني أنهم يَفْسُونَ في مسجد رسول الله ﷺ.

لا يَمْتَدُّ إلىَّ أمَلُ آمِل

ومن رُؤساءِ أَهْلِ البُخْلِ محمدُ بنُ الجهم وهو الذى قال: وَدَدْتُ أنَّ عَشَرَةً من الفُقَهاءِ وعشرةً من الشعراءِ وعشرةً من الخطباءِ وعشرةً من الأدباءِ تَواطَئُوا على ذَمِّى واستَهَلُّوا بِشَتْمِى حتى يُنْشَرَ ذلك عنهم فى الآفاقِ حتى لا يَمْتَدَّ إلىَّ أَمَلُ آمِلٍ ولا يَنْبَسِطَ نَحْوِى رَجَاءُ رَاجٍ.

وقال له أصحابه: إنما نَخْشَى أن نَقْعُدَ عِنْدَكَ فَوْقَ مِقْدَارِ شَهْوَتِكَ فَلَوْ جَعَلْتَ لنا علامةً نَعْرِفُ بها وَقْتَ استحسانِكَ قيامَنَا.

قال: عَلامَةُ ذلك أَنْ أقولَ: يا غلامُ هَاتِ الغَدَاءَ

البخيل وأولاده

قال رجُلٌ من الأعرابِ لولده: اشْتَرُوا لىَ لحمًا. فاشتَروهُ فَطَبَخَهُ حتى تَهَرَّى وأكلَ منه حتى انْتَهَتْ نَفْسُهُ وشَرِعَتْ إليه عُيُونُ وَلَدِهِ فقال: ما أنا بِمُطْعِمِهِ أحدًا منكم إلا من أحْسَنَ وَصْفَ أَكْلِهِ.

فقال الأكبر منهم: آكُلُهُ يا أَبَتِ حتى لا أَدَعَ لِذَرَّةٍ فيه مَقِيلا.

قال: لستَ بِصَاحِبِهِ.

فقال الآخر: آكُلُهُ حتى لا يُدْرَى أَلِعَامِهِ هو أم لِعَامٍ أَوَّلَ.

قال: لست بصاحبه.

. فقال الأصغر: أَدُقُّهُ يا أبتِ دَقًا وأجْعَلُ إدَامَهُ المُخَّ.

قال: أنت صاحِبُهُ هو لك.

الطعـــام والســـجن

مَرَّ مِسْكِينٌ بأبى الأَسْوَدِ لَيْلاً وهو يُنَادى: أنا جَائعٌ فأدْخَلَهُ وأطْعَمَهُ حتى شَبِعَ ثم قال له انْصَرِفْ إلى أَهْلِكَ وأَتْبَعَهُ غُلامًا وقالَ له: إنْ سَمِعْتَهُ يَسْأَلُ فارْدُدْهُ إلىَّ. فلما جَاوَزَهُ المسكينُ سأل كعادته فَتَشَبَّثَ به الغلامُ وردَّهُ إلى أبى الأسود فقال: ألم تَشْبَعْ؟ فقال: بَلَى

قال: فما سُؤالُكَ؟ ثم أَمَرَ به فَحُبِسَ فى بَيْتٍ وأُغْلِقَ عليه البابُ وقال: لا تُرَوِّعْ مُسْلِمًا سَائِرَ الليلةِ ولا تَكْذِبْ فلما أَصْبَحَ خَلَّى سبيلَهُ وقال: لو أطَعْنَا السُّؤَّالَ صِرنَا مِثْلَهم.

وسمعَ دابَّةً تَعْتَلِفُ فى جَوْفِ الليلِ فقال: إنى لأراكِ تَسْهَرِينَ فى مَالى والناسُ نِيَامٌ واللهِ لا تُصْبِحِينَ عندى وَبَاعَهَا.

اِسْــــتَحَى فأكَــلَ

ضَمَّ عثمــانَ بنَ رواحِ السفرُ ورفيقًا له فـقالَ له الرفيقُ: اِمْضِ إلى السوقِ فاشْتَرِ لنا لَحْمًا.

قال: واللهِ ما أَقْدِرُ.

قال: فَمَضَى الرفيقُ واشْتَرَى اللحمَ.

ثم قال لعثمانَ: قُمْ الآنَ فاطْبُخ القِدْرَ.

قال: واللهِ ما أَقْدِرُ فَطَبَخَها الرفيقُ.

ثم قال: قُمْ الآنَ فَاثْرُدْ.

قال: واللهِ إنى لأَعْجِزُ عن ذلك فَثَرَدَ الرفيقُ.

ثم قال: قَمْ الآنَ فَكُلْ.

فقال: واللهِ لقــد استَحْيَيْتُ من كَثْـرَةِ خِلافِى عليكَ ولولا ذلك ما فَعَلْتُ.

أمـوت ولا أتقيَّـأ

حدثنا نَاجيَــةُ بنُ عبد الله البصرى قال: كــان عندنا بالبصرة رجلٌ مُيَسَّرٌ وكان بخيلاً على نفســه وعلى عِيَاله فدعاه بعضُ جيرانه فوضعَ بين يديه طُبَاهجَةَ[1] بَيْضٍ فأكَل فأكثرَ، وجعلَ يشربُ الماءَ فانْتَفَخَ بَطْنُهُ ونزل به الكَرْبُ والموتُ فـجعل يَتَلَوَّى، فلــما أَجْـهَدَهُ الأمـرُ وخافَ

الموتَ على نفــسه بعثَ إلى جَارٍ له مُـتَطَبِّب فدخلَ عليــه فقــال: ما حَالُكَ؟ قــال: أكلْتُ طُبَاهجَةَ بَيْضٍ وشــربْتُ ماءً كثيــرًا وقد نَزَلَ بى الموتُ فقال: لا بَأْسَ عليكَ قُمْ فَتَقَيَّأْ ما أكَلْتَ وقد بَرِئْتَ.

فقــــال: هَاه أتقيــــأ طبــاهجةَ بيضٍ؟ أَمُوتُ ولا أتقــيأُ طبــاهجةَ بيضٍ أبدًا.

لا تمسَّ الدرهمَ إلا بثوبٍ

قال محمدُ بنُ أبى المعافَى: كان أبى متنحيًا عن المدينة وكانَتْ إلى جَنْبِهِ مزرعةٌ فيها قثَّاءٌ وكنْتُ صبيًا قد تَرَعْرَعْتُ فجاءنى من جيراننا أقرانٌ لى وكلمت أبى لِيَهَبَ لى درهمًا أشترى لهم به قثاءً فقال لى: أتَعْرِفُ حَالَ الدرهم؟ كان فى حَجَرٍ فى جَبَلٍ فَضُرِبَ بالمعاولِ حتى استُخْرِجَ ثم طُحِنَ، ثم أُدْخِلَ القدورَ وَصُبَّ عليه الماءُ وجُمِعَ بالزئبَقِ، ثم أُدخلَ النارَ فَسُبِكَ، ثم أُخرِجَ فَضُرِبَ، وكُتبَ فى أَحَدِ شقَّيْهِ لا إله إلا الله وفى الآخر محمدٌ رسولُ الله، ثم صُيِّرَ إلى أمير المؤمنين فَأَمَرَ بإدْخَالِهِ بَيْتَ مَالِه ووكَّلَ به عُوَجَ القَلانِسِ صُهْبَ السِبَال، ثم وَهَبَهُ لجارية حَسْنَاءَ جميلة، وأنت والله أَقْبَحُ من قِرْدٍ، أو رَزَقَهُ رجلاً شجاعًا وأنت والله أَجْبَنُ من صَافِرٍ فهل ينبغى لكَ أن تَمَسَّ الدرهَم إلا بثوب.

يأكل فى مُنتصَفِ الليل

كان بعضُ البخلاء يَأْكُلُ نصفَ الليل فقيل له فى ذلك فقال: يَبْرُدُ الماءُ ويَنْقَمِعُ الذبابُ وآمَنُ فَجْأَةَ الداخلِ وصَرْخَةَ السائلِ وصِيَاحَ الصِبْيان.

فوائد الرءوس

كان مروانُ بنُ أبي حَفْصَةَ لا يأكلُ اللحمَ بُخْلاً حتى يَقْرَمَ[1] إليه، فإذا قَرِمَ أرسلَ غلامَهُ فاشترى له رَأْسًا فَأَكَلَهُ فقيل له: نَرَاكَ لا تأكلُ إلا الرءوسَ في الصيفِ والشتاءِ فلم تَخْتَارُ ذلك؟ فقال: نعم الرأسُ أَعْرِفُ سِعْرَه فآمن خِيَانَةَ الغُلامِ ولا يَسْتَطِيعُ أن يَغْبِنَني فيه وليس بِلَحْمٍ يَطْبَخُه الغلامُ، فَيَقْدِرُ أن يأكلَ منه، إن مَسَّ عينًا أو أُذُنًا أو خَدًا، وَقَفْتُ على ذلك، وآكُلُ منه أَلْوَانًا آكلُ عَيْنَهُ لونًا وأُذُنَيْهِ لَوْنًا وغُلْصُمَتَهُ[1] لونًا ودِمَاغَه لونا وأُكْفَي مَؤُونَةَ طَبْخِهِ فقد اجْتَمَعَتْ لي فيه مَرَافِقُ.

يتجمَّلُ بالعِظَامِ أمامَ دارِهِ

قال عمرو بنُ ميمون: مررتُ ببعضِ طُرُقِ الكوفة فإذا أنا برَجُلٍ يُخَاصِمُ جارًا له فقلتُ: ما بالُكُما؟ فقال أحدهُما: إن صديقًا لي زَارَني واشْتَهى عليَّ رأسًا فاشْتَرَيْتُهُ له وتَغَدَّيْنَا، فأخذتُ عظَامَهُ فَوَضَعْتُها أمامَ داري أَتَجَمَّل بها عِنْدَ جِيراني، فجاءَ هذا وأَخَذَها ووَضَعَها على بابِ دَارِهِ يُوهِمُ الناسَ أَنَّهُ هو الذي أَكَلَ الرأسَ.

أجْهِزُوا على الجَرْحَى

ودخلتُ يومًا على عبدِ الله بن يحيى بن خالد والمائدةُ موضوعةٌ والقَوْمُ يَأْكُلونَ، وقد رَفَعَ بعضُهُم يَدَهُ فَمَدَدْتُ يدىَ لآكلَ فقال: أَجْهِزْ على الجَرْحى ولا تَتَعَرَّضْ للأصِحّاءِ يقول: تَعَرَّضْ للدجاجة التى قد نِيلَ منها والفَرْخَ المأخوذَ منه فأمَا الصحيحُ فلا تَتَعَرَّضْ له، هذا معناه فى الجَرْحى والأصِحَّاءِ.

المِصْبَاح

وزَعَمَ أصحابُنا أن الخُراسانيَةَ ترافَقُوا فى مَنْزِلٍ وصَبَّروا عن الارْتِفَاقِ بالمِصْبَاحِ ما أمْكَنَ الصبرُ، ثم إنهم تَنَاهَرُوا وتَخَارَجُوا، وأَبَى واحدٌ منهم أن يُعِينَهُم وأنَ يَدْخُلَ فى الغُرْمِ معهمَ، فكانوا إذا جاءَ المصباحُ شَدُّوا عَيْنَه بمنديل ولا يزال ولا يزالونَ كذلك إلى أن يَنَاموا ويُطْفِئُوا المصباحَ فإذا أطْفئوه أطْلَقوا عينيه.

بخل أهل طوس

عن أبى تغلب عبد الوهاب بن على الحسن الملحمى قال: حدثنا القاضى أبو الفرج المعافى بن زكريا الجزيرى قال: أنبأنا محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا عبد الرحمن - يعنى ابن عبيد الله بن قريب ابن أخى الأصمعى - عن عمه قال: أَبْخَلُ أهلِ خراسان أهلُ طُوس؛ وكانت قريةٌ من قُراها قد اشتُهِرَ أهلُها بالبُخْلِ، وكانوا لا يَقْرَون ضيفًا فبلغ ذلك واليًا من ولاتهم ففرض عليهم قِرَى الضيفِ وأمرَهم أن يضْرِبَ كلُ رجلٍ منهم وتدًا فى المسجد الذى يصلى فيه وقال: إذا نزل الضيفُ فعلى أى وتدٍ عَلَّقَ سَوْطًا أو ثوبًا فَقِرَاهُ على صاحب الوتد؛ وكان فيهم رجلٌ مُفْرِطُ البخل فعمد إلى عود صَلْب فَمَلَّسَهُ وحَدَّدَهُ وصَيَّرَهُ فى زاويةِ المسجد ووتَّده مَنْصُوبًا لِيَزِلَّ عنه ما عُلِّقَ عليه. فدخل المسجدَ ضيفٌ فقال فى نفسه ينبغى أَن يكون هذا الوتدُ لأبخلِ القومِ وإنما فعل هذا هَرَبًا من الضيَافَة فعمد إلى عِمَامَته فَعَقَدَهَا على ذلك الوتد عَقْدًا شديدًا فَثَبَتَتْ وصاحبُ الوتد ينظر إليه قد سُقِطَ فى يديه فجاء إلى امرأته مُغْتَمًا فقالت: ما شأنُكَ؟ فقال: البَلاَءُ الذى كنا نَحِيدُ عنه، قد جاءَ الضيفُ فَفَعَلَ كذا وكذا. فقالت: ليس حِيَلةٌ إلا الصبْرَ واستعانة اللهِ عليه، وجعلت تُعَزِّيه واجتمعَ بناتُهُ

وجيرانُه مُـتَحَزِّنِينَ لما حَلَّ به وكان أمـرُ الضيف عندهم عظيمًا فـعمد إلى شاةٍ فذبَحَها وإلى دَجَاجٍ فاشْتواها وإلى جَفْنَةٍ فملأهَا ثَرِيدًا ولحمًا فجـعلتْ امرأتُه وبناتُه وجاراتُه يتطلـعْنَ من فُروجِ الأبواب والسطُوحِ إلى الضيفِ وأكلِه وجَـعَلوا يتبادَرُون: قد جاءَ الضـيفُ، وَيْلَكُمْ، قد جاء الضـيفُ. فتَناول الضـيف عِرْقًا من ذلك اللحـمِ ورغيفًـا فأكَلَهُ ومسح يَدَهُ وحَمِدَ الله عَزَّ وجلَّ وقَـال: ارفَعوا باركَ اللهُ عليكم! فقال صاحبُ البيت: كلْ يا عبَد الله واستَوْفِ عشاءَكَ فقد تَكَلَّفْنا لكَ قال: قد اكتفَـيْتُ فقال: أهكذا أكلُ الضيفِ مثلُ أكلِ الناسِ لاغـير؟ قال: نعم قال: ماظننت إلا أنكَ تأكلُ جميعَ مـا عَمِلْنَاهُ وتَدْعُو بغيره فكان ذلك الرجلُ بعد ذلك لا يمرُّ به ضيفٌ إلا قَرَاهُ



آكل الرءوس

وكان أبو عبد الرحمن الثورى يُعْجَبُ بالرءوس ويَحْمَدُها ويَصفُها وكان لا يأكل اللحمَ إلا يومَ أَضْحَى أو من بقية أُضْحِيَتِه أو يكون فى عُرْسٍ أو دَعْوَةٍ أو سُفْـرَةٍ وكان سَمَّى الرأسَ عُرْسًا لما يجتـمع فيه من الألوان الطيبةِ وكان يسميه مَرَّةً الجَامِعَ ومرةً الكاملَ.

وكان يـقول: الرأسُ شىءٌ واحـدٌ وهو ذو ألوان عجـيبةٍ وطُـعُوم

مُخْتَلِفَةٍ وكَلُّ قِدْرٍ وكلُّ شِوَاءٍ فـإنما هو شىءٌ واحدٌ والرأسُ فيه الدِّمَاغُ فَطَعْمُ الدماغ على حِـدَةٍ، وفيه العـينانِ وطَعْمُهُمَـا شىءٌ على حدة، وفيه الشحْمَةُ التى بين أَصْلِ الأُذُن ومُـؤخَّرِ العين وطعمُها على حدَة؛ على أن هذه الشحـمةَ خاصـةً أطيبُ من المُخِّ وأنْعَمُ من الزُبْدِ وأَدْسَمُ من السلاَءِ(١) وفى الرأس اللسانُ وطعُمه شىءٌ على حده. . . والرأسُ سَيِّدُ البدنِ فيه الدماغُ وهو مَعْدِنُ العقلِ ومنه يَتَفَرَّقُ العَصَبُ الذى فيه الحسُّ وبه قِـوامُ البَدَنِ، وإنما الـقلبُ بابُ العقلِ كـمـا أنَّ النفسَ هى المُدْرِكَـةُ والعينُ هى بابُ الألوانِ والنفْسُ هى السـامـعَةُ الذَائقـةُ وإنما الأنفُ والأذنُ بَابَانِ ولولا أنَّ العـقلَ فـى الرأس لما ذَهَبَ العـقلُ من

الضرْبَةِ تُصيبُهُ. . .

وكـان لا يشتـرى الرأسَ إلاّ فى زِيَادَة الشـهرِ لمكان زيادةِ الدمـاغ وكان لا يشترى إلا رأسَ فَتَىٍّ لِوَفَارَةِ الدماغ. . .

وكان لا يشترى الرأسَ إلا يوم سَبْتٍ

وأما اختيارُهُ شِرَاءَ الرءوسِ يَوْمَ السـبتِ فإنَّ القصَّابينَ يَذْبَحُونَ يومَ الجمـعةِ أكـثَر فَـتَكْثُـرُ الرءوسُ يومَ السبتِ على قَـدْرِ الفضلِ فـيمـا يَذْبَحُون، ولأن العَـوَامَّ والتجارَ والصناعَ لايَقْـرَمُونَ إلى أكَلِ الرءوسِ يومَ السبتِ مع قُرْبِ عَهْدِهم بأكلِ اللحمِ يومَ الجمعة ولأن عامَّتَهُمْ قد

بَقِيَتْ عـنده فَضْلَة فهى تَمْـنَعُهُ من الشهـوةِ، ولأنَّ الناسَ لا يكادون يَجْمَعُونَ على خِوَانٍ واحدٍ بين الرءوس واللحمِ.

مخاطبة الدراهم

وحديث سَــمِعْنَاهُ على وَجْهِ الــدهرِ، زَعَموا أن رجــلاً قد بَلَغَ فى البُخْل غايَتَــه وصارَ إمامًا، وأنه كان إذا صَــارَ فى يده الدِّرهَمُ خاطَبَهُ ونَاجَاهُ وفَدَّاهُ واستــبْطَأَهُ، وكان مما يقول له: كم من أرضٍ قد قَطَعْتَ وكم من كِــيسٍ قــد فَارَقْــتَ وكم من خَامِــلَ رَفَعْتَ ومن رفِــيعٍ قــد أخْمَلْتَ، لك عندى ألا تَعْرى ولا تَضْحَى.

ثم يُلْقيــه فى كيسه ويقــول له: اسْكُنْ على اسم الله فى مكان لا تُهانُ ولا تُذَلُّ ولا تُزْعَجُ منه. وأنه لم يَدْخُلْ فيه درهمًــا قَطُّ فأخْرَجَهُ وأن أهلَه ألحُّوا عليه فى شَهْوَةٍ وأكثَــروا عليه فى إنْفَاقِ درْهَمٍ فَدَافَعَهُم ما أمكنَ ذلك، ثم حَــمَلَ درهمًا فقط فَبَيْــنَاهُ ذاهبٌ إذْ رأى حَوَّاءً قد

أرْسَلَ على نفسه أفْعَى لِدِرْهَمٍ يَأْخُذُه فقال فى نفسه: أتْلفُ شيئًا تُبْذَلُ

فيه النفسُ بأكلة أو شَرْبةٍ، والله ما هذا إلاّ مَوْعظَةٌ لى من اللهِ، فرجع إلى أهله وردَّ الدرهَم إلــى كيــســه، فكان أهْــلُهُ منه فى بَلاءٍ وكــانوا يَتَمَنَّونَ موتَه والخلاصَ منه بالموت والحياة بدونه.

فلما ماتَ وظنوا أنهم قد استَراحُوا منه قَدِمَ ابنُهُ فاستَولى على مالِه ودارِه ثم قال: ما كان أَدَمُ أبى؟ فإن أكثَر الفساد إنما يكون فى الإدامِ.

قالوا: كانَ يَتَأَدَّمُ بِجُبْنَةٍ عنده.

قال: أَرُونيها، فإذا فيها حَزٌّ كالجدول من أَثَرِ مَسْحِ اللُّقْمَةِ.

قال: ما هذه الحَزَّةُ؟

قالوا: كان لا يَقْطَعُ الجبنَ وإنما كان يَمْسَحُ على ظَهْرِهِ؛ فَيَحْفِرُ كما تَرَى.

قال: فهذا أهلَكَنِي، وبهذا أقْعَدَنِى هذا المَقْعَدُ. لو علمت ذلك ما صليتُ عليه.

قالوا: فأنت كَيْفَ تريدُ أن تَصْنَعَ؟

قال: أَضَعُها من بعيدٍ فأشيرُ إليها باللقمةِ.

أمر بخيل أولاده بشراء لحم وطبخه، ففعلوا، فأكله كله ولم يبق إلا عظمة، وعيون أولاده ترمقه. فقال: ما أعطي أحداً منكم هذه العظمة حتى يحسن وصف أكلها.

فقال الأكبر: أمشمشها وأمصها، حتى لا أدع للذر فيها مقيلاً.

قال: لست بصاحبها.

فقال الأوسط: ألوكها وألحسها حتى لا يدري أحد لعام هي أم لعامين.

قال: لست بصاحبها.

فقال الأصغر: أمصها ثم أدقها وأسفها سفًا.

قال: أنت صاحبها زادك الله معرفة وحزمًا.

أبو الأسود

وكان أبو الأسود معروفاً بالبخل، وكان يقول: لو أطعنا المساكين في أموالنا لكنا أسوأ حالاً منهم. وقال لبنيه: لا تجاودوا الله عز وجل فإنه أجود وأمجد، ولو شاء أو يوسع على الناس كلهم لفعل، فلا تجهدوا أنفسكم في التوسع فتهلكوا هزالاً.

أعرابية

قالت أعرابية: لزوجها الشحيح: والله ما يقيم الفأر في دارك إلا لحب الوطن!

عبد الله

قيل لبخيل: "قد رضيت بأن يقال: عبد الله بخيل.

قال: لا أعدمني الله هذا الاسم.

قيل: كيف؟

قال: لا يقال فلان بخيل إلا وهو ذو مال، فسلم إلي المال، وادعني بأي اسم شئت!".

هجاء الفضل

وهذا أبو النواس يهجو الفضل أحد البخلاء في عصره قائلاً:

رأيت الفضلَ مكتئبًا.. يُناغي الخبز والسّمكا

فأسبل دمعة لما..رآني قادمًا وبكى..

فلما أنْ حلفتُ له..بأنّي صائمٌ ضحِكا

ومن الأشعار الجميلة التي قيلت في هجاء البخلاء الصائمين قول الشاعر:

أتيت عمرًا سحرًا..فقال: إني صائمٌ..

فقلت :آتيك غدًا . فقال: صَومي دائمٌ

ومن طرائفهم أيضاً:

دخل شاعر على رجل بخيل فظهر عليه القلق والاضطراب ، وقال في نفسه

إن لم يُطعم الشاعر

من طعامه فإنه سيهجوه ، غير أن الشاعر انتبه إلى ما أصاب الرجل فترفّق

بحاله ولم يطعم .. من طعامه ، ومضى عنه وهو يقول :

تغيّر إذ دخَلتُ عليه حتى .. .. فطِنتُ .. فقلتُ في عرْض المقالْ

عليَّ اليوم نذْرٌ من صيام .. . . فاشرقَ وجهُه مثل الهلالْ

قصة أهل البصرة من المسجديين

قال أصحابنا منة المسجديين: اجتمع ناس في المسجد ممن ينتحل الاقتصاد في النفقة، والتنمية للمال، من أصحاب الجمع والمنع. وقد كان هذا المـذهب صـار عنـدهم كالنسب الذي يجمع على التحاب، وكان الذي يجمع على التناصر. وكانوا إذا التقـوا فـي حلقهـم تـذاكروا هـذا البـاب، وتطـارحوة وتدارسـوه.

فقال شيخ منهم: ماء بئرنا - كما قد علمتم - ملح أجاج لا يقربه الحمار، ولا تسيغه الإبل، وتموت عليه النخل. والنهر منا بعيد. وفي تكلف العذب علينا مؤنـة. فكنـا نمزج منه للحمار، فاعتل عنه، وانتفض علينا من أجله. فصرنا بعد ذلك نسقيه العذب صرفاً. وكنت أنا والنعجة كثيراً ما نغتسل بالعذب، مخافة أن يعتري جلودنا منه مثل ما اعترى جوف الحمار. فكـان ذلـك المـاء العـذب الصـافي يـذهب بـاطلاً.

ثم انفتح لي باب من الإصلاح، فعمدت إلى ذلك المتوضأ، فجعلت في ناحيـة منـه حفرة، وصهرجتها وملستها، حتى صارت كأنها صخرة منقورة. وصـوبت إليهـا المسيل. فنحن الآن إذا اغتسلنا صار الماء إليها صافياً، لم يخالطه شيء. والحمـار أيضاً لا تقزز له منه. وليس علينا حرج في سقيه منه. وما علمنا أن كتاباً حرمـه، ولا سنة نهت عنه. فربحنا هذه منذ أيام، وأسقطنا مؤنة عن الـنفس والمـال، مـال القوم.

وهـــــــــــــــــــــذا بتوفيـــــــــــــــــــــق الله ومنــــــــــــــــــــــــه.

فأقبل عليهم شيخ فقال: هل شعرتم بموت مريم الصناع؟ فإنها كانــت مــن ذوات الاقتصاد، وصاحبة إصلاح. قالوا: فحدثنا عنها. قال: نوادرهــا كثيــرة، وحــديثها طويل. ولكني أخبركم عن واحدة فيها كفاية. قالوا: وما هي؟ قال: زوجت ابنتهــا، وهي بنت اثنتي عشرة، فحلتها الذهب والفضة، وكستها المــروى والوشــي والقــز والخز، وعلقت المعصفر، ودقت الطيب، وعظمت أمرها من قدرها عند الأحمــاء. فقال لها زوجها: أنى هذا يا مريم؟ قالت: هو من عند الله. قال: دعي عنك الجملــة، وهاتي التفسير. والله ما كنت ذات مال قديماً، ولا ورثته حديثاً. وما أنت بخائنة فــي نفسك، ولا في مال بعلك. إلا أن تكوني قد وقعت على كنز! وكيف دار الأمر فقــد أســـــقطت عنـــــــي مؤنـــــــة، وكفيتنــــــــي هـــــــذه النائبــــــــة.

قالت: اعلم أني منذ يوم ولدتها إلى أن زوجتها، كنت أرفع من دقيق كل عجنة حفنة. وكنا – كما قد علمت – نخبز في كل يوم مرة. فإذا اجتمع من ذلك مكــوك بعتــه. قال زوجها: ثبت الله رأيك وأرشدك! ولقد أسعد الله من كنت له سكناً، وبارك لمــن جعلت له إلفاً! ولهذا وشبهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من الذود إلى الذود إبل. وإني لأرجو أن يخرج ولدك على عرقك الصالح، وعلى مــذهبك المحمــود.

وما فرحي بهذا منك بأشد من فرحي بما يثبت الله بك في عقبي من هــذه الطريقــة المرضــية.

فنهض القوم بأجمعهم إلى جنازتها، وصلوا عليها. ثم انكفؤا إلى زوجها، فعزوه على

مصـــــــــــيبته، وشـــــــــــاركوه فـــــــــــي حزنـــــــــــه.
ثم اندفع شيخ منهم فقال: يا قوم، لا تحقروا صغار الأمور، فإن كل كبير صغير.

ومتى شاء الله أن يعظم صغيراً عظمه، وأن يكثر قليلاً كثره. وهل بيوت الأموال إلا درهم إلى درهم؟ وهم الذهب إلا قيراط إلى جنب قيراط؟ وليس كذلك رمل عـــالج وماء البحر؟ وهل اجتمعت أموال بيوت إلا بدرهم من هاهنا ودرهم من هاهنا؟ فقد رأيت صاحب سفط قد اعتقد مائة جريب في أرض العرب، ولربما رأيته يبيع الفلفل بقيراط، الحمص بقيراط، فأعلم أنه لم يربح في ذلك الفلفل إلا الحبة والحبتـــين مـــن خشب الفلفل. فلم يزل يجمع من الصغار الكبار، حتى اجتمع ما اشترى بـــه مائـــة جريـــــــــــــــــــــــــــــب!.

ثم قال: اشتكيت أياماً صدري من سعال كان أصابني، فأمرني قوم بالفانيذ السكري. وأشار على آخرون بالحريرة تتخذ من النشاستج والسكر ودهن اللوز، وأشباه ذلـــك. فاستثقلت المؤنة، وكرهت الكلفة، ورجوت العافية. فبينا أنا أدافع الأيام، إذ قال لـــي بعض الموفقين: عليك بماء النخالة فاحسه حاراً. فحسوت، فإذا هو طيب جـــداً، وإذا هو يعصم: فما جعت ولا اشتهيت الغذاء في ذلك اليوم إلى الظهر. ثم ما فرعت من غدائي وغسل يدي حتى قاربت العصر. فلما قرب وقت غدائي من وقـــت عشـــائي طويـــــــــت العشـــــــــاء، وعرفـــــــــت قصـــــــــدي.

فقلت للعجوز: لم لا تطبخين لعيالنا في كل غداة نخالة؟ فإن ماءها جـــلاء للصـــدر، وقوتها غذاء وعصمة؛ ثم تجففين بعد النخالة، فتعود كما كانت. فتبيعين إذا الجميـــع

بمثل الثمن الأول، ونكون قد ربحنا فضل ما بين الحالين! قالت: أرجو أن يكون الله قد جمع بهذا السعال مصالح كثيرة، لما فتح الله لك بهذه النخالة التي فيهـــا صــــلاح بدنك معاشك! وما أشك أن تلك المشهورة كانت من التوفيق! قال القوم: صدقت، مثل هذا لا يكتسب بالرأي، ولا يكون إلا سماويا.! ثم أقبل عليهم شيخ فقال: كنا نلقي من الحراق والقداحة جهداً، لأن الحجارة كانت إذا انكسرت حروفها واستدارت، كلت ولم تقدح قدح خير، وأصلدت فلم تور، وربما أعجلنا المطر والوكف. وقد كان الحجــر أيضاً يأخذ من حروف القداحة، حتى يدعها كالقوس. فكنت أشتري المرقشيتا بالغلاء، والقداحـــــــــة الغليظـــــــــــة بـــــــــــالثمن الموجـــــــــــع.

وكان علينا أيضاً في صنعة الحراق وفي معالجة القطنة مؤنة، وله ريـــح كريهـــة. والحراق لا يجيء من الحرق المصبوغة، ولا من الحرق الوسخة، ولا من الكتـــان، ولا مـــــــــــــــــــــــن الخلقـــــــــــــــــــــــــــان.

فكنا نشتريه بأغلى الثمن. فتذاكرنا منذ أيام أهل البدو والأعـــراب، وقـــدحهم النـــار بالمرخ والعفار.فزعم لنا صديقنا الثوري وهو – ما علمت – أحـــد المرشـــدين، أن عراجين الأعذاق تنوب عن ذلك أجمع. وعلمني كيف تعالج. ونحن نؤتى بهـــا مـــن أرضـــنا بـــلا كلفـــة. فالخـــادم اليـــوم لا تقـــدح ولا تـــوري إلا بـــالعرجون.

قال القوم: قد مرت بنا اليوم فوائد كثيرة. ولهذا قال الأول: مذاكرة الرجـــال تلقـــح الألباب. ثم اندفع شيخ منهم فقال: لم أرى في وضع الأمور في مواضـــعها، وفـــي توفيتها غاية حقوقها، كمعاذة العنبرية. قالوا: وما شان معاذة هذه؟ قال: أهدى إليهـــا

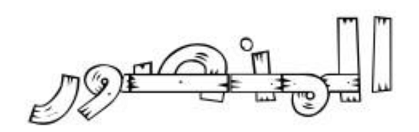
العام ابن عم لها أضحية. فرأيتها كئيبة حزينة، مفكرة مطرقة. فقلت لها: مالـــك يـــا معاذة؟ قالت: أنا امرأة أرملة، وليس لي قيم. ولا عهد لي بتدبير لحم الأضاحي. وقد ذهب الذين كانوا يدبرونه ويقومون بحقه. وقد خفت أن يضيع بعض هـــذه الشـــاة. ولست أعرف وضع جميع أجزائها في أماكنها. وقد علمت أن الله لم يخلق فيهـــا ولا غيرها شيئاً لا منفعة فيه. ولكن المرء يعجز لا محالة. ولست أخاف مـــن تضـــييع القليـــــــــل، إلا أنـــــــــه يجـــــــــر تضـــــــــييع الكثيـــــــــر.

أما القرن فالوجه فيه معروف، وهو أن يجعل كالخطاف، ويسمر في جذع من جذوع السقف، فيعلق عليه الزبل والكيران، وكل ما خيف عليه من الفأر والنمل والسنانير، وبنات وردان والحيات، وغير ذلك. وأما المصران فإنه لأوتار المندفة. وبنا إلى ذلك أعظم الحاجة. وأما قحف الرأس واللحيان وسائر العظام، فسبيله أن يكسر بعـــد أن يعرق، ثم يطبخ. فما ارتفع من الدسم كان للمصباح وللإدام وللعصيدة، ولغير ذلـــك. ثم تؤخذ تلك العظام فيوقد بها. فلم يرى الناس وقوداً قط أصفى ولا أحسن لهباً منها. وإذا كانت كذلك فهي أسرع في القدر، لقلة ما يخالطها من الدخان. وأمـــا الإهـــاب فالجلد نفسه حراب. وللصوف وجوه لا تدفع. وأما الفرث والبعر فحطب إذا جفـــف عجيـــــــــــــــــــب.

ثم قالت: بقي الآن علينا الانتفاع بالدم. وقد علمت أن الله عز وجل لم يحرم من الدم المسفوح إلا أكله وشربه، وأن له مواضع يجوز فيها ولا يمنع منها. وإن أنا لم أقـــع على علم ذلك، حتى يوضع موضع الانتفاع به، صار كية في قلبي، وقذى في عيني،

وهما لا يزال يعاودني.

فلم ألبث أن رأيتها قد تطلقت وتبسمت. فقلت: ينبغي أن يكون قد انفتح لك باب الرأي في الدم. قالت: أجل، ذكرت أن عندي قدوراً شامية جدداً. وقد زعموا أنه ليس شيء أدبغ ولا أزيد في قوتها، من التلطيخ بالدم الحار الدسم. وقد استرحت الآن، إذ وقع كل شيء موقعه! قال: ثم لقيتها بعد ستة أشهر، فقلت لها: كيف كان قديد تلك الشاة؟ قالت: بأبي أنت! لم يجيء وقت القديد بعد! لنا في الشحم والألية والجنوب والعظم المعروق وغير ذلك معاش! ولكل شيء إبان! فقبض صاحب الحمار والماء العذب قبضة من حصى، ثم ضرب بها الأرض. ثم قال: لا تعلم أنك من المسرفين، حتى تسمع بأخبار الصالحين!.



كان المنصور شديد البخل جدًا، مر به مسلم الحادي في طريقه إلى الحج، فحدا له يومًا؛ فطرب وطابت نفسه.

ثم قال: يا ربيع أعطه نصف درهم.

فقال مسلم: نصف درهم يا أمير المؤمنين، والله لقد حدوت لهشام، فأمر لي بثلاثين ألف درهم.

فقال: تأخذ من بيت مال المسلمين ثلاثين ألف درهم... يا ربيع: وَكِّلْ بِهِ من يَسْتَخْلِصُ منه هذا المال.

قال ربيع: فما زلت أمشي بينهما وأروضه حتى شَرَطَ مسلم على نفسه أن يحدو له في ذهابه وإيابه بغير مؤنة.

أشجع الناس

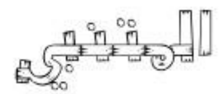
وقيل لبخيل: من أشجع الناس. قال: من سمع

وقع أضراس الناس على طعامه ولم تنشق مرارته.

خمسمائة ألف درهم

قال ابن حسان:كان عندنا رجل مقل، و كان له أخ مكثر وكان مفرط البخل، شديد النفح فقال له يوماً أخوه: ويحك! أنا فقير معيل، وأنت غني خفيف الظهر، لا تعينني على الزمان، ولا تواسيني ببعض مالك، و لا تتفرج لي عن شيء! و الله ما رأيت قط ولا سمعت أبخل منك!

قال: ويحك! ليس الأمر كما تظن، ولا المال كما تحسب، ولا أنا كما تقول في البخل ولا في اليسر والله لو ملكت ألف ألف درهم، لوهبت لك خمسمائة ألف درهم. يا هؤلاء... رجل يهب في ضربة واحدة خمسمائة الف درهم يقال له بخيل!



وكان المتنبي بخيلاً جداً مدحه إنسان بقصيدة، فقال له: كم أمّلت منّا على مدحك؟ قال: عشرة دنانير. قال له: والله لو ندفت قطن الأرض بقوس السماء على جباه الملائكة ما دفعت لك دانقًا.

قصة زبيدة بن حميد

وأما زبيدة بن حميد الصيرفي، فإنه استلف من بقال كان على باب داره درهمين وقيراطاً. فلما قضاه بعد ستة أشهر، قضاه درهمين وثلاث حبات شعير.

فاغتاظ البقال، فقال: سبحان الله! أنت رب مائة ألف دينار، وأنا بقال لا أملك مائة فلس، وإنما أعيش بكدي، وباستفضال الحبة والحبتين. صاح على بابك حمال، والمال لم يحضرك، وغاب وكيلك، فنقدت عنك درهمين وأربع شعيرات.

فقضيتني بعد ستة أشهر درهمين وثلاث شعيرات. فقال زبيدة: يا مجنون! أسلفتني في الصيف، فقضيتك في الشتاء. وثلاث شعيرات شتوية ندية، أرزن من أربع شعيرات يابسة صيفية. وما أشك أن معك فضلاً! وحدثني أبو الأصبغ، بن ربعي، قال: دخلت عليه بعد أن ضرب غلمانه بيوم، فقلت له: ما هذا الضرب المبرح؟ وهذا الخلق السيء؟ هؤلاء غلمان، ولهم حرمة وكفاية وتربية. وإنما هم ولد.

هؤلاء كانوا إلى غير هذا أحوج. قال: إنك لست تدري أنهم أكلوا كل جوارشن كان عندي! قال أبو الأصبغ: فخرجت إلى رئيس غلمانه، فقلت: ويلك! مالك وللجوارشن؟ وما رغبتك فيه؟ قال: جعلت فداك! ما أقدر أن أكلمك من الجوع إلا وأنا متكئ! الجوارشن! ما أصنع به؟ هو نفسه ليس يشبع، ولا نحتاج إلى الجوارشن، ونحن الذين إنما نسمع بالشبع سماعاً من أفواه الناس! ما نصنع بالجوارشن؟ واشتد على غلمانه في تصفية الماء، وفي تبريده وتزميله لأصحابه وزواره. فقال له غازي أبو مجاهد: جعلت فداك! مر بتزميل الخبز وتكثيره، فإن الطعام قبل الشراب.

وقال مرة: يا غلام، هات خوان النرد، وهو يريد تحت النرد، فقال له غازي: نحن إلى خوان الخبز أحوج.

وسكر زبيدة ليلة فكسا صديقاً له قميصاً. فلما صار القميص على النديم خاف

البدوات، وعلم أن ذلك من هفوات السكر. فمضى من ساعته إلى منزله، فجعله بركاناً لامرأته.

فلما أصبح سأل عن القميص وتفقده، فقيل له: إنك قد كسوته فلاناً. فبعث إليه، ثم أقبل عليه، فقال: ما علمت أن هبة السكران وشراءه وبيعه وصدقته وطلاقه لا يجوز؟ وبعد، فإني أكره ألا يكون لي حمد، وأن يوجه الناس هذا مني السكر. فرده علي، حتى أهبه لك صاحياً عن طيب نفس؛ فإني أكره أن يذهب شيء من مالي باطلاً.

فلما رآه قد صمم، أقبل عليه فقال: يا هناه! إن الناس يمزحون ويلعبون، ولا يؤاخذون بشيء من ذلك. فرد القميص، عافاك الله! قال له الرجل: إني والله قد خفت هذا بعينه؛ فلم أضع جنبي إلى الأرض حتى جيبته لامرأتي. وقد زدت في الكمين، وحذفت المقاديم.

فإن أردت بعد هذا كله أن تأخذه فخذه. فقال: نعم آخذه، لأنه يصلح لامرأتي كما يصلح لامرأتك. قال: فإنه عند الصباغ. قال: فهاته. قال: ليس أنا أسلمته إليه. فلما علم أنه قد وقع قال: بأبي وأمي رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث يقول: جمع

السر كله في بيت عليه، فكان مفتاحه السكر.



مشى بخيل وابنه مع جنازة وكانت امرأة تنوح وتصرخ إلى أين يذهبون بك إلى بيت لا فراش فيه,ولا غطاء , ولا خبز ولا ماء!؟

فقال ابن البخيل لأبيه: هل سيذهبون به إلى بيتنا؟

معقول

سئل بخيل يوما عن أيهما أكثر فائدة من الشمس.

فقيل له كيف ذلك والناس تذهب إلى أعمالها عند طلوعها وتعود عند غيابها؟

فقال: الشمس تطلع نهاراً والدنيا نور, أما القمر فأنه يبزغ ليلاً وينير الدنيا,فهو أفضل من الشمس.

مصيدة

دخل أحد البخلاء دكانا لبيع الأدوات المنزلية, وطلب شراء مصيدة للفئران عرض عليه صاحب الدكان واحدة, وبدأ يشرح له طريقة استعمالها.

فقال: هنا تضع قطعة الجبن, فيدخل الفأر المصيدة ليأكلها,وما أن يقضم جزءاً منها حتى تنطبق عليه المصيدة.

فقال البخيل على الفور: أريد مصيدة يموت فيها الفأر قبل أن يأكل الجبن!!

واعجباه

البخيل الأول: لماذا أنت حزين هكذا؟ البخيل الثاني: لأن ثمن البنزين ارتفع كثيرا! البخيل الأول: ها، ها، لقد اشتريت سيارة إذا؟ البخيل الثاني: لا .. اشتريت ولاعة!

البرتقالة

اشترى رجل بخيل ثلاث برتقالات قطع الأولى فوجدها متعفنة فرماها ، قطع الثانية فوجدها متعفنة فرماها، فأطفأ النور وقطع الثالثة وأكلها .

سهراية

خرج بخيل وابنه في المساء لقضاء السهرة عند أحد الأصدقاء، وفي منتصف الطريق عرف الرجل أن ابنه ترك المصباح مضيئا ولم يطفئه عند مغادرة المنزل. لقال له: لقد خسرنا بإهمالك هذا درهما.. وأمره بالعودة إلى المنزل ليطفئ المصباح. وعاد الولد إلى المنزل فأطفأ المصباح، ثم رجع إلى أبيه، فابتدره أبوه قائلا: – أن خسارتنا هذه المرة، اكبر من خسارتنا في المرة السابقة، فقد أبليت من حذائك ما يساوي درهمين. فأجاب الولد قائلا: – اطمئن يا أبي .. فقد ذهبت إلى المنزل وعدت حافيا.



زوجة البخيل: – أرجو أن تشتري لنا قدرا من العظام لنعمل حساء.
البخيل: – يا لك من مبذرة، ألم أفرجك على اللحم عند الجزار أمس.

ها ها ها

أرسل صديق لصديقه –البخيل جدا – راجيا منه مساعدته وإقراضه مبلغ خمسين جنيها لضائقة مالية شديدة يعانيها. فأجابه صديقه البخيل برسالة قائلا: صديقي العزيز، إنني فعلا أتمنى تحقيق رغبتك ومساعدتك، إلا أنني أغلقت الرسالة ونسيت وضع المبلغ المطلوب فيها!

مثلا

البخيل: إني افطر وأتغذى بكسرة خبز وافترض أنني أفطرت بطبق من الفطير وتغذيت بدجاجة مخمرة!

صديقه: وبأي شيء تتعشى؟

البخيل: عجبا لك! أيشتهي العشاء من يفطر بطبق من الفطير ويتغذى بدجاجة محمرة؟

ملعوبة

قال الولد لأبيه البخيل جدا: "أبصرت في منامي أنك أعطيتني عشرة جنيهات".

فأجاب الأب: "ادخرها وإياك أن تصرفها!"

عراف

ذهب بخيل إلى قارئ الكف وأعطاه مبلغا ضئيلا ليكشف له عن بخته، فأمسك القارئ بكفه وأطال النظر فيه، ثم قال له:
إنك لم تتزوج، ولم يتزوج أبوك كذلك ، فقال البخيل مندهشا: كيف ذلك، وابن من أكون إذن؟ قال قارئ الكف : وهل من المعقول أن تكون من بني آدم؟

ذكاوة

ذهب رجل بخيل إلى أحد الأطباء ليكشف عن علته ويصف له الدواء، وكان الطبيب يتقاضى على الكشف للمرة الأولى ثلاثة جنيهات، وفي المرة الثانية جنيهين، وفي المرة الثالثة جنيها واحدا، فقال الرجل البخيل للطبيب: – لقد سبق أن عرضت نفسي عليك مرتين قبل الآن، وهذه المرة الثالثة، فأرجو آن تبحث حالتي الآن وتصف لي العلاج المناسب، وهاك جنيها أجرة الكشف، ففطن الطبيب لهذه الحيلة، فأجرى الكشف على الرجل، ثم كتب له الوصفة الآتية: يعاد استعمال الدواء السابق مرة ثالثة .

قصة ليلى الناعطية

وأما ليلى الناعطية، صاحبة الغالية من الشيعة، فإنها ما زالت ترقع قميصاً لها وتلبسه، حتى صار القميص الرقاع، وذهب القميص الأول. ورفت كساءها ولبسته، حتى صارت لا تلبس إلا الرفو، وذهب جميع الكساء.

وسمعت قول الشاعر:

البس قميصك ما اهتديت لجيبه فإذا أضلك جيبه فاستـــبـــدل

فقالت: إني إذا الخرقاء! أنا والله أحوص الفتق، وأرقع الخرق وخرق الخرق!

ومضيت أنا وأبو إسحاق النظام وعمرو بن نهيوي، نريد الحديث في الجبان، ولنتناظر في شيء من الكلام. فمررنا بمجلس وليد القرشي، وكان على طريقنا. فلما رآنا تمشى معنا.

فلما جاوزنا الخندق جلسنا في فناء حائطه. وله ظل شديد السواد، بارد ناعم. وذلك لثخن الساتر، واكتناز الأجزاء، ولبعد مسقط الشمس من أصل حائطه. فطال بنا

الحديث، فجرينا في ضروب من الكلام. فما شعرنا إلا والنهار قد انتصف، ونحن في يوم قائظ.

فلما صرنا في الرجوع، ووجدت مس الشمس وقعها على الرأس، أيقنت بالبرسام. فقلت لأبي إسحاق، والوليد إلى جنبي يسمع كلامي: الباطنة منا بعيدة، وهذا يوم منكر، ونحن في ساعة تذيب كل شيء. والرأي أن نميل إلى منزل الوليد، فنقيل فيه، ونأكل ما حضر، فإنه يوم تخفيف. فإذا أبردنا تفرقنا، وإلا فهو الموت ليس دونه شيء.

قال الوليد رافعاً صوته: أما على هذا الوجه الذي أنكرته علينا – رحمك الله؟ هل ها هنا إلا الحاجة والضرورة؟ قال: إنك أخرجته مخرج الهزء. وقلت: وكيف أخرجه مخرج الهزء وحياتي في يدك، مع معرفتي بك؟ فغضب، ونتر يده من أيدينا، وفارقنا. ولا والله ما اعتذر إلينا مما ركبنا به إلى الساعة. ولم أر من يجعل الأسى حجة في المنع إلا هو، وإلا من أبي مازن إلى جبل الغمر.

وكان جبل خرج ليلاً من موضع كان فيه، فخاف الطائف، ولم يأمن المستقفي، فقال: لو دققت الباب على أبي مازن، فبت عنده في أدنى بيت، أو في دهليزه، ولم ألزمه من مؤنتي شيئاً. حتى إذا انصدع عمود الصبح، خرجت في أوائل المدلجين. فدق عليه الباب دق واثق، ودق مدل، ودق من يخاف أن يدركه الطائف،

أو يقفوه المستقفي، وفي قلبه عز الكفاية، والثقة بإسقاط المؤنة.

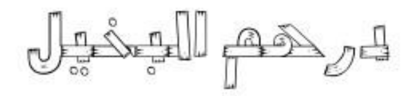
فلم يشك أبو مازن أنه دق صاحب هدية. فنزل سريعاً. فلما فتح الباب وبصر بجبل، بصر بملك الموت!فلما رآه جبل واجماً، لا يحير كلمة، قال له: إني خفت معرة الطائف، وعجلة المستقفي، فملت إليك لأبيت عندك. فتساكر أبو مازن، وأراه أن وجومه إنما كان بسبب السكر. فخلع جوارحه، وخبل لسانه، وقال: سكران والله، أنا والله سكران! قال له جبل: كن كيف شئت. نحن في أيام الفصل، لا شتاء ولا صيف.

ولست أحتاج إلى سطح، فأغم عيالك بالحر، ولست أحتاج إلى لحاف، فأكلفك أن تؤثرني بالدثار. وأنا كما ترى ثمل من الشراب، شبعان من الطعام. ومن منزل فلان خرجت، وهو أخصب الناس دخلاً. وإنما أريد أن تدعني أغفي في دهليزك إغفاءة واحدة، ثم أقوم في أوائل المبكرين.

قال أبو مازن، وأرخى عينيه وفكيه ولسانه، ثم قال: سكران والله! أنا سكران! لا والله ما أعقل أين أنا! والله إن أفهم ما تقول! ثم أغلق الباب في وجهه، ودخل لا

يشك أن عذره قد وضح، وأنه قد ألطف النظر، حتى وقع على هذه الحيلة! وإن وجدتم في

هذا الكتاب لحناً، أو كلاماً غير معرب، ولفظاً معدولاً عن جهته، فاعلموا أنا إنما تركنا ذلك، لأن الإعراب يبغض هذا الباب، ويخرجه من حده. إلا أن أحكي كلاماً من كلام متعاقلي البخلاء، وأشحاء العلماء، كسهل بن هارون وأشباهه.



كان بعض

البخلاء إذا وقع الدرهم في كفه قال مخاطبا له :

أنت عقلي وديني وصلاتي وصيامي , وجامع شملي , وقرَّة عيني , وقوتي وعِمادي وعُدتي

ثمّ يقول :يا حبيب قلبي وثمرة فؤادي ,قد صرت

إلى من يصونك , ويعرف

حقك , ويُعّظم قدرك , ويشفق عليك , وكيف لايكون كذلك وبكَ تُجلب المسار, وتُدفع المضار , وتعظم الأقدار , وتعمر الديار , وتزوج البنات

:ترفع الذكر وتعلي القدر ,ثمّ يطرحه في الكيس وينشد

بنفسي محجوبٌ عن العين شَخصهُ

وليس بخالٍ من لساني ولا قلبـــي

حظّي من الناس كلّهم ومِن ذِكْره

وأولُ حظي منهُ في البُعد والقُربِ

و قيل أن أشهر بخلاء العرب أربعة

الحطيئة

فقد مر به رجل و هو بباب بيته و في يده عصا غليظة

فقال الرجل : أنا ضيف

فأشار الحطيئة إلى العصا و قال إنما أعدت هذه للضيفان

حميد الأرقط

وقد كان يهجو ضيوفه ، بل وكان فاحشاً عليهم

يقال أنه نزل به ضيوف ذات مرة

. فأطعمهم تمراً و يقال أنه أكلهم النوى

و قد هجا ضيفا نزل به مرة

ما بين لقمته الأولى التي انحدرت

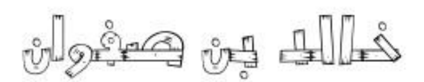
و بين أخرى تليها قيــد أظفــور



يقال أنه تصدق مرة على مسكين بتمرة

فقال له جعل الله نصيبك في الجنة مثل هذه

و هو القائل : لو أطعنا المساكين في أموالنا لكنا أسوأ حالاً منهم



فكان يقول للدرهم و الله لأطيلن حبسك في هذا

الصندوق ثم يضعه فيه و يحكم

الأقفال .

قصة أحمد بن خلف

ومن طياب البخلاء أحمد بن خلف اليزيدي.

ترك أبوه في منزله يوم مات ألفي ألف درهم، وستمائة ألف درهم، وأربعين ومائة ألف دينار. فاقتسمها هو وأخوه حاتم قبل دفنه. وأخذ أحمد وحده ألف ألف وثلثمائة ألف درهم، وسبعين ألف دينار، ذهباً عيناً، مثاقيل وازنة جياداً، سوى العروض.

فقلت له وقد ورث هذا المال كله: ما أبطأ بك الليلة؟ قال لا والله، إلا أني تعيشت البارحة في البيت! فقلت لأصحابنا: لولا أنه بعيد العهد بالأكل في بيته، وأن ذلك غريب منه، لما احتاج إلى هذا الاستثناء، وإلى هذه الشريطة. وأين يتعشى الناس إلا في منازلهم؟ وإنما يقول الرجل عند مثل هذه المسألة: لا والله، إلا أن فلاناً حبسني،

ولا والله، إلا أن فلاناً عزم علي. فأما ما يستثنى ويشترط، فهذا ما لا يكون إلا على ما ذكرناه قبل.

وقال لي مبتدئاً مرة عن غير مشورة، وعن غير سبب جرى: انظر أن تتخذ لعيالك في الشتاء من هذه المثلثة؛ فإنها عظيمة البركة، كثيرة النزل. وهي تنوب عن الغداء.

ولها نفخة تغني عن العشاء. وكل شيء من الأحساء، فهو يغني عن طلب النبيذ وشرب الماء.

ومن تحسى الحار عرق. والعرق يبيض الجلد، ويخرج من الجوف. وهي تملأ النفس، وتمنع من التشهي. وهي أيضاً تدفئ، فتقوم لك في أجوافهم مقام فحم الكانون من خارج. وحسو طار يغني عن الوقود، وعن لبس الحشو.
والوقود يسود كل شيء وييبسه. وهو سريع في الهضم، وصاحبه معرض للحريق، ويذهب في ثمنه المال العظيم. وشر شيء فيه أن من تعوده لم يدفئه شيء سواه.

فعليك يا أبا عثمان بالمثلثة! واعلم أنها لا تكون إلا في منازل المشيخة وأصحاب التجربة. فخذها من حكيم مجرب، ومن ناصح مشفق.

وكان لا يفارق منازل إخوانه. وإخوانه مخاصيب مناويب، أصحاب نفح وترف. وكانوا يتحفونه ويدللونه، ويفكهونه ويحكمونه. ولم يشكوا أنه سيدعوهم مرة، وأن يجعلوا بيته نزهة ونشوة. فلما طال تغافله، وطالت مدافعته، وعرضوا له بذلك فتغافل، صرحوا له. فلما امتنع قالوا: اجعلها دعوة ليس لها أخت.

فلما بلغ منه ومنهم المجهود، اتخذ لهم طعيماً خفيفاً، شهياً مليحاً، لا ثمن له ولا مؤنة فيه.

فلما أكلوا وغسلوا أيديهم، أقبل عليهم فقال: أسألكم بالله الذي لا شيء أعظم منه، أنا الساعة أيسر وأغنى، أو قبل أن تأكلوا طعامي؟ قالوا: ما نشك أنك حين كنت والطعام في ملكك، أغنى وأيسر. قال: فأنا الساعة أقرب إلى الفقر، أم تلك الساعة؟ قالوا: بل أنت الساعة أقرب إلى الفقر. قال: فمن يلومني على ترك دعوة قوم قربوني من الفقر، وباعدوني من الغنى، وكلما دعوتهم أكثر كنت من الفقر أقرب، ومن الغنى أبعد؟ وفي قياسه هذا أن من رأيه أن يهجر كل من استسقاه شربة ماء، أو

تناول من حائطه لبنة، ومن خليط دابته عوداً.

ومر بأصحاب الجداء، وذلك في زمان التوليد. فأطعمه الزمان في الرخص، وتحركت شهوته على قدر إمكانه عنده. فبعث غلاماً له يقال له ثقف؛ وهو معروف، ليشتري له جدياً. فوقف غير بعيد. فلم يلبث أن رجع الغلام يحضر، وهو يشير بيده، ويومئ برأسه: أن اذهب ولا تقف. فلم يبرح. فلما دنا منه قال: ويلك، تهزأ بي كأني مطلوب! قال: هذا أطرفه! الجدي بعشرة! أنت من ذي البابة؟ مر الآن، مرمر! فإذا غلامه يرى أن من المنكر أن يشتري جدي بعشرة دراهم! والجدي بعشرة إنما ينكر عندنا بالبصرة، لكثرة الخير، ورخص السعر. فأما في العساكر، فإن أنكر ذلك منكر، فإنما ينكره من طريق رخصه، وقلة ثمنه، لا لغير ذلك.

ولا تقولوا الآن: قد والله أساء أبو عثمان إلى صديقه، بل تناوله بالسوء حتى بدأ بنفسه. ومن كانت هذه صفته، وهذا مذهبه، فغير مأمون على جليسه. وأي الرجال المهذب؟ هذا والله الشيوع والتبوع، والبذاء وقلة الوفاء.

اعلموا أني لم ألتمس بهذه الأحاديث عنه إلا موافقته، وطلب رضاه ومحبته.

ولقد خفت أن أكون عند كثير من الناس دسيساً من قبله، وكميناً من كمائنه. وذلك أن أحب الأصحاب إله أبلغهم قولاً في إياس الناس مما قبله، وأجودهم حسماً لأسباب

الطمع في ماله.

على أني إن أحسنت بجهدي، فسيجعل شكري موقوفاً. وإن جاوز كتابي هذا حدود العراق شكر، وإلا أمسك. لأن شهرته بالقبيح عند نفسه في هذا الإقليم، قد أغنته عن التنويه والتنبيه على مذهبه. وكيف وهو يرى أن سهل بن هارون وإسماعيل بن غزوان كانا من المسرفين، وأن الثوري والكندي يستوجبان الحجر.

وبلغني أنه قال: لو لم تعرفوا من كرامة الملائكة على الله إلا أنه لم يبتلهم بالنفقة، ولا بقول العيال: هات، لعرفتم حالهم ومنزلتهم.

وحدثني صاحب لي قال: دخلت على فلان بن فلان، وإذا المائدة موضوعة بعد، وإذا القوم قد أكلوا ورفعوا أيديهم. فمددت يدي لآكل، فقال: أجهز على الجرحى، ولا تتعرض للأصحاء! يقول: اعرض للدجاجة التي قد نيل منها، وللفرخ المنزوع الفخذ. فأما الصحيح فلا تتعرض له. وكذلك الرغيف الذي قد نيل منها، وللفرخ المنزوع الفخذ. فأما الصحيح فلا تتعرض له. وكذلك الرغيف الذي قد نيل منه، وأصابه بعض المرق.

وقال لي الرجل: أكلنا عنده يوماً، وأبوه حاضر، وبني له يجيئ ويذهب. فاختلف مراراً. كل ذلك يرانا نأكل. فقال الصبي: كم تأكلون؟ لا أطعم الله بطونكم! فقال أبوه، وهو جد الصبي: ابني ورب الكعبة! وحدثني صاحب مسلحة باب الكرخ، قال: قال لي صاحب الحمام: ألا أعجبك من صالح بن عفان؟ كان يجئ كل سحر، فيدخل الحمام. فإذا غبت عن إجانة النورة مسح أرفاغه. ثم يتستر بالمئزر. ثم يقوم فيغسله في غمار الناس. ثم يجئ بعد في مثل تلك الساعة، فيطلي ساقيه وبعض فخذيه.

ثم يجلس ويتزر بالمئزر. فإذا وجد غفلة غسله. ثم يعود في مثل ذلك الوقت، فيمسح قطعة أخرى من جسده. فلا يزال يطلي في كل سحر، حتى ذهب مني بطلية.

قال: ولقد رأيته وإن في زيق سراويله نورة.

وكان لا يرى الطبخ في القدور الشامية، ولا تبريد الماء في الجرار المذارية؛ لأن هذه ترشح، وتلك تنشف.

حدثني أبو الجهجاه النوشرواني، قال: حدثني أبو الأحوص الشاعر، قال: كنا نفطر عند الباسياني. فكان يرفع يديه قبلنا، ويستلقي على فراشه، ويقول: "إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً" .



قيلَ لخالد بن صفوان و كان ثريا بخيلا : لمَ لا تنفق و مالك عريض ؟

فأجاب : الدهر أعرض منه!

علامة

كان محمد بن الجهم من البخلاء المشهورين، و مرة قال له اصحابه و

هم في منزله:

اننا نخشى ان نقعد عندك فوق مقدار رغبتك فلو جعلت لنا علامة نعرف بها و قت انصرافنا . فأجابهم : علامة

ذلك ان اقول : يا غلام ، هات الغداء!

أبن الحمامة و الحطيئة

مر رجل بالحطيئة و هو جالس بفناء بيته

. فقال : السلام عليكم

. الحطيئة : قلت ما يجب ان يقال فقال

. قال الرجل : اني خرجت من عند اهلي بغير زاد

. قال الحطيئة : لم اضمن لأهلك أطعامك

ظل بيتك ؟ قال الرجل : هل تسمح لي ان اتفيأ في

.قال الحطيئة : دونك الجبل يفيء عليك

. قال الرجل : انا ابن الحمامة

قال الحطيئة : انصرف و كن ابن اي طائر شئت .

حديث خالد بن يزيد

وهذا خالد بن يزيد مولى المهالبة. هو خالويه المكدى. وكان قد بلغ في البخل والتكدية، وفي كثرة المال، المبالغ التي لم يبلغها أحد.

وكان ينزل في شق بني تميم فلم يعرفوه. فوقف عليه ذات يوم سال، وهو في مجلس من مجالسهم. فأدخل يده في الكيس ليخرج فلساً، وفلوس البصرة كبار. فغلط بدرهم بغلى. فلم يفطن، حتى وضعه في يد السائل. فلما فطن استرده وأعطاه الفلس. فقيل له: هذا لا نظنه يحل. وهو بهد قبيح! قال: قبيح عند من؟ إني لم أجمع هذا المال بعقولكم، فأفرقه بعقولكم! ليس هذا من مساكين الدراهم. هذا من مساكين الفلوس! والله ما أعرفه إلا بالفراسة.

قالوا: وإنك لتعرف المكدين؟ قال: وكيف لا أعرفهم! لم يبق في الأرض مخطراني، ولا مستعرض الأقفية، ولا شحاذ ولا كاغاني، ولا بانوان، ولا قرسي ولا عواء، ولا مشعب، ولا مزيدي، ولا إسطيل، إلا وقد كان تحت يدي. ولقد أكلت الزكوري ثلاثين سنة. ولم يبق في الأرض كعبي ولا مكد إلا وقد أخذت العرافة

عليه.

وإنما أراد بهذا أن يؤيسهم من ماله، حين عرف حرصهم وجشعهم وسوء جوارهم.

وكان قاصاً متكلماً، بليغاً داهياً. وكان أبو سليمان الأعور وأبو سعيد المدائني القاصان من غلمانه.

وهو الذي قال لابنه عند موته: إني قد تركت لك ما تأكله إن حفظته، وما لا تأكله إن ضيعته. ولما ورثتك من العرف الصالح، وأشهدتك من صواب التدبير، وعودتك من عيش المقتصدين، خير لك معين من هذا المال. وقد دفعت إليك آلة لحفظ المال عليك بكل حيلة. ثم إن لم يكن لك معين من نفسك، ما انتفعت بشيء من ذلك. بل يعود ذلك النهي كله إغراء لك، وذلك المنع تهجينا لطاعتك.

قد بلغت في البر منقطع التراب، وفي البحر أقصى مبلغ السفن. فلا عليك ألا ترى ذا القرنين.

ودع عنك مذاهب ابن شرية، فإنه لا يعرف إلا ظاهر الخبر. ولو رآني تميم الداري لأخذ عني صفة الروم.

ولا أنا أهدى من القطا، ومن دعيميص، ومن رافع المخش.

إني قد بت بالقفز مع الغول، وتزوجت السعلاة، وجاوبت الهاتف، ورغت عن الجن إلى الجن، واصطدت الشق، وجاوبت النسناس، وصحبني الرئي. وعرفت خدع الكاهن، وتدسيس العراف، وإلام يذهب الخطاط والعياف، وما يقول أصحاب الأكتاف. وعرفت التنجيم، والزجر، والطرق، والفكر.

إن هذا المال لم أجمعه من القصص والتكدية، ومن احتيال النهار، ومكابدة الليل. ولا يجمع مثله أبداً إلا من معاناة ركوب البحر، ومن عمل السلطان، أو من كيمياء الذهب والفضة.

قد عرفت الرأس حق معرفته، وفهمت كسر الإكسير على حقيقته.

ولولا علمي بضيق صدرك؟ ولولا أن أكون سبباً لتلف نفسك، لعلمتك الساعة الشيء الذي بلغ بقارون، وبه تبنكت خاتون.

والله ما يتسع صدرك عندي لسر صديق، فكيف ما لا يحتمله عزم، ولا يتسع له صدر؟ وحرز سر الحديث، وحبس كنوز الجواهر، أهون من خزن العلم.

ولو كنت عندي مأموناً على نفسك لأجريت الأرواح في الأجساد، وأنت تبصر ما كنت لا تفهمه بالوصف، ولا تحقه بالذكر. ولكني سألقي عليك علم الإدراك، وسبك الرخام، وصنعة الفسيفساء، وأسرار السيوف القلعية، وعقاقير السيوف اليمانية، وعمل الفرعوني، وصنعة التلطيف على وجهه، إن أقامني الله من صرعتي هذه.

ولست أرضاك وإن كنت فوق البنين، ولا أثق بك وإن كنت لاحقاً بالآباء، لأني لم أبالغ في محبتك.

ني قد لابست السلاطين والمساكين، وخدمت الخلفاء والمكدين، وخالطت النساك والفتاك، وعمرت السجون، كما عمرت مجالس الذكر، وحلبت الدهر أشطره، وصادفت دهراً كثير الأعاجيب.

فلولا أني دخلت من كل باب، وجريت مع كل ريح، وعرفت السراء والضراء، حتى مثلت لي التجارب عواقب الأمور، وقربتني من غوامض التدبير، لما أمكنني جمع ما أخلفه لك، ولا حفظ ما حبسته عليك. ولم أحمد نفسي على جمعه، كما حمدتها على

حفظه، لأن بعض هذا المال لم أنله بالحزم والكيس.

قد حفظته عليك من فتنة الأبناء، ومن فتنة النساء، ومن فتنة الثناء، ومن فتنة الرياء، ومن أيدي الوكلاء، فإنهم الداء العياء.

ولست أوصيك بحفظه لفضل حبي لك، ولكن لفضل بغضي للقاضي: إن الله – جل ذكره – لم يسلط القضاة على أموال الأولاد إلا عقوبة للأولاد؛ لأن أباه إن كان غنياً قادراً، أحب أن يريه غناه وقدرته، وإن كان فقيراً عاجزاً، أحب أن يستريح من شينه، ومن حمل مؤنته. وإن كان خارجاً من الحالتين، أحب أن يستريح من مداراته.

فلا هم شكروا من جمع لهم، وكفاهم ووقاهم وغرسهم، ولا هم صبروا على من أوجب الله حقه عليهم. والحق لا يوصف عاجله بالحلاوة، كما لا يوصف عاجل

الباطل بالمرارة.

فإن كنت فالقاضي لك. وإن لم تكن منهم فالله لك.

فإن سلكت سبيلي، صار مال غيرك وديعةً عندك، وصرت الحافظ على غيرك. وإن

خالفت سبيلي، صار مالك وديعةً عند غيرك، وصار غيرك الحافظ. وإنك يوم تطمع أن تضيع مالك ويحفظه غيرك، لجشع الطمع، مخذول الأمل.

احتال الآباء في حبس الأموال على أولادهم بالوقف، فاحتالت القضاة على أولادهم بالإستحجار. ما أسرعهم إلى إطلاق الحجر، وإلى إيناس الرشد، إذا أرادوا الشراء منهم! وأبطأهم عنهم، إذا أرادوا أن تكون أموالهم جائزة لصنائعهم! يا بن الخبيثة! إنك وإن كنت فوق أبناء هذا الزمان، فإن الكفاية قد مسختك، ومعرفتك بكثرة ما أخلف قد أفسدتك. وزاد في ذلك أن كنت بكرى وعجزة أمك.

أنا لو ذهب مالي لجلست قاصاً، أو طفت في الآفاق – كما كنت – مكدياً: اللحية وافرة بيضاء، والحلق جهير طل، والسمت حسن، والقبول على واقع! إن سألت عيني الدمع أجابت. والقليل من رحمة الناس خير من المال الكثير. وصرت محتالاً بالنهار، واستعملت صناعة الليل؛ أو خرجت قاطع طريق؛ أو صرت للقوم عيناً ولهم مجهراً.

سل عني صعاليك الجبل، وزواقيل الشام، وزط الآجام، ورؤس الأكراد، ومردة الأعراب، وفتاك نهر بط، ولصوص القفص! وسل عني القيقانية والقطرية.

وسل عني المتشبهة، وذباجي الجزيرة: كيف بطشي ساعة البطش، وكيف حيلتي ساعة الحيلة، وكيف أنا عند الجولة، وكيف ثبات جناني عند رؤية الطليعة، وكيف يقظتي إذا كنت ربيئة، وكيف كلامي عند السلطان إذا أخذت، وكيف صبري إذا جلدت، وكيف قلة ضجري إذا حبست، وكيف رسفاني. في القيد إذا أثقلت!

فكم من ديماس قد نقبته، وكم من مطبق قد أفضيته، وكم من سجن قد كابدته.

وأنت غلام لسانك فوق عقلك، وذكاؤك فوق حزمك. لم تعجمك الضراء، ولم تزل في السراء. والمال واسع، وذرعك ضيق. وليس شيء أخوف عليك عندي من حسن الظن بالناس؛ فإنهم شمالك على يمينك، وسمعك على بصرك. وخف عباد الله على حسب ما ترجو الله؛ فأول ما وقع في روعي أن مالي محفوظ علي، وأن النماء لازم لي، وأن الله سيحفظ عقبي من بعدي.

إني لما غلبتني يوماً شهوتي، وأخرجت يوماً درهماً لقضاء وطري، ووقعت عني على سكت وعلى اسم الله المكتوب عليه، قلت في نفسي: إني إذاً لمن الخاسرين الضالين: لئن أنا أخرجت من يدي ومن بيتي شيئاً عليه لا إله إلا الله، أخذت بدله شيئاً ليس عليه شيء! والله إن المؤمن لينزع خاتمه للأمر يريده، وعليه، حسبي الله، أو توكلت على الله، فيظن أنه قد خرج من كنف الله – جل ذكره – حتى يرد الخاتم في موضعه! وإنما هو خاتم واحد. وأنا أريد أن أخرج في كل يوم درهماً عليه

الإسلام كما هو! إن هذا لعظيم!.

ومات من ساعته. وكفنه ابنه ببعض خلقانه، وغسله بماء البئر، ودفنه من غير أن يصرخ له، أو يلحد له، ورجع.

فلما صار في المنزل، نظر إلى جرة خضراء معلقة. قال: أي شيء في هذه الجرة؟ قالوا: ليس اليوم فيها شيء. قال: فأي شيء فيها قبل اليوم؟ قالوا: سمن. قال: وما كان يصنه به؟ قالوا: كنا في الشتاء نلقي له في البرمة شيئاً من دقيق نعمله له، فكان ربما برقه بشيء من سمن. قال: تقولون ولا تفعلون! السمن أخو العسل.

وهل أفسد الناس أموالهم إلا في السمن والعسل؟ والله إني لولا أن للجرة ثمناً لما كسرتها إلا على قبره! قالوا: فخرج فوق أبيه، وما كنا نظن أن فوقه مزيداً! المخطراني الذي يأتيك في زي ناسك، ويريك أن بابك قد قور لسانه من أصله، لأنه كان مؤذناً هناك. ثم يفتح فاه، كما يصنع من تثاءب، فلا ترى له لساناً البتة! ولسانه في الحقيقة كلسان الثور! وأنا أحد من خدع بذلك. ولابد للمخطراني أن يكون معه واحد يعبر عنه، أو لوح أو قرطاس قد كتب فيه شأنه وقصته.

والكاغاني الذي يتجنن، ويتصارع، ويزبد، حتى لا يشك أنه مجنون، لا دواء له،

لشدة ما ينزل بنفسه، وحتى يتعجب من بقاء مثله على مثل علته.

والبانوان الذي يقف على الباب، ويسل الغلق ويقول: بانوا! وتفسير ذلك بالعربية: يا مولاي! والقرسي الذي يعصب ساقه وذراعه عصباً شديداً، ويبيت على ذلك ليلة. فإذا تورم واختنق الدم، مسحه بشيء من صابون ودم الأخوين، وقطر عليه شيئاً من سمن، وأطبق عليه خرقة، وكشف بعضه. فلا يشك من رآه أن به الإكلة، أو بلية شبه الإكلة.

والمشعب الذي يحتال للصبي حين يولد: بأن يعميه، أو يجعله أعسم، أو أعضد؛ ليسأل الناس به أهله. وربما جاءت به أمه وأبوه، ليتولى ذلك منه بالغرم الثقيل.لأنه يصير حينئذ عقدة وغلة: فإما أن يكتسبا به، وإما أن يكرياه بكراء معلوم. وربما أكروا أولادهم ممن يمضي إلى إفريقية، فيسأل بهم الطريق أجمع، بالمال العظيم.

فإن كان ثقة مليئاً، وإلا أقام بالأولاد والأجرة كفيلاً.

والعواء الذي يسأل بين المغرب والعشاء. وربما طرب، إن كان له صوت حسن، وحلق شجي.

والإسطيل هو المتعامي: إن شاء أراك أنه منخسف العينين، وإن شاء أراك أن بهما ماء، وإن شاء أراك أنه لا يبصر، للخسف، ولريح السبل.

والمزيدي الذي يعارضك، وهو ذو هيئة، وفي ثياب صالحة. وكأنه قد هاب من الحياء، ويخاف أن يراه معرفة! ثم يعترضك اعتراضاً، ويكلمك خفياً.

والمعدس الذي يقف على الميت يسأل في كفنه، ويقف في طريق مكة على الحمار الميت، والبعير الميت، يدعى أنه كان له، ويزعم أنه قد أحصر؛ وقد تعلم لغة الخراسانية واليمانية والإفريقية، وتعرف تلك المدن والسكك والرجال. وهو متى شاء كان من إفريقية، ومتى شاء كان من أهل فرغانة، ومتى شاء كان من أي مخاليف اليمن شاء! والمكدى صاحب الكداء.

والكعبي أضيف إلى أبي كعب الموصلي، وكان عريفهم بعد خالويه سنة على ماء.

والزكوري هو خبز الصدقة، كان على سجني أو على سائل.

هذا تفسير ما ذكر خالويه فقط. وهم أضعاف ما ذكرنا في العدد. ولم يكن يجوز أن نتكلف شيئاً ليس من الكتاب في شيء.

رفع يحيى بن عبد الله بن خالد بن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد رغيفاً من خوانه بيده، ثم رطله والقوم يأكلون. ثم قال: يزعمون أن خبزي صغار. أي ابن...يأكل من هذا الخبز رغيفين? وكنت أنا وأبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام، وقطرب النحوي، وأبو الفتح مؤدب منصور ابن زياد، على خوان فلان بن فلان. والخوان من جزعة.

والغضار صيني ملمع، أو خلنجية كيماكية. والألوان طيبة شهية، وغذية قدية. وكل رغيف في بياض الفضة، كأنه البدر، وكأنه مرآة مجلوة. ولكنه على قدر عدد الرءوس.

فأكل كل إنسان رغيفه إلا كسرة. ولم يشبعوا فيرفعوا أيديهم. ولم يغدوا بشيء فيتموا أكلهم. والأيدي معلقة. وإنما هم في تنقير وتنتيف! فلما طال ذلك عليهم، أقبل الرجل على أبي الفتح، وتحت القصعة رقاقة، فقال: يا أبا الفتح، خذ ذلك الرغيف فقطعه وقسمه على أصحابنا. فتغافل أبو الفتح. فلما أعاد عليه القول الرابعة قال:

مالك – ويلك! – لا تقطعه بينهم؟ قطع الله أوصالك! قال: يبتلي على يدي غيري، أصلحك الله! فخجلناه مرة، وضحكنا مرة، وما ضحكنا صاحبنا ولا خجل.

وزرته أنا والمكي. وكنت أنا على حمار مكار، والمكي على حمار مستعار. فصار الحمار إلى أسوأ، من حال المذود! فكلم المكي غلمانه، فقال: لا أريد منكم التبن فما فوقه. اسقوه ماء فقط. فسقوه ماء بئر، فلم يشربه الحمار، وقد مات عطشاً.

فأقبل المكي عليه فقال: أصلحك الله! إنهم يسقون حماري ماء بئر، ومنزل صاحب الحمار على شارع دجلة، فهو لا يعرف إلا العذب. قال: فامزجوه له يا غلام! فمزجوه فلم يشربه. فأعاد المسألة، فأمكنه من أذن من لا يسمع إلا ما يشتهي.

وقال لي مرة: يا أخي، إن ناساً من الناس يغمسون اللقمة إلى أصبارها في المري.

فأقول: هؤلاء قوم يحبون الملوحة، ولا يحبون الحامض! فما ألبث أن أرى أحدهم يأخذ حرف الجردقة، فيغمسها في الخل الحاذق، ويغرقها فيه! وربما رأيت أحدهم يمسكها في الخل بعد التغريق ساعة، فأقول: هؤلاء قوم يجمعون حب

الحموضة إلى حب الملوحة. ثم لا ألبث أنة أراهم يصنعون مثل ذلك بالخردل، والخردل لا يرام! قل لي: أي شيء طبائع هؤلاء؟ وأي ضرب هم؟ وما دواؤهم؟ وأي شيء علاجهم؟ فلما رأيت مذهبه وحمقه، وغلبة البخل عليه، وقهره له، قلت: ما لهم عندي علاج هو أنجع فيهم من أن يمنعوا الصباغ كله! لا والله، إن هو غيره! وصديق كنا قد ابتلينا بمؤاكلته. وقد كان ظن أنا قد عرفناه بالبخل على الطعام. وهجس ذلك في نفسه، وتوهم أنا قد تذاكرناه أمره. فكان يتزيد في تكثير الطعام، وفي إظهار الحرص على أن يؤكل. حتى قال: من رفع يده قبل القوم غرمناه ديناراً. فترى بغضه إن غرمناه ديناراً. وظاهر لا ثمته محتمل في رضا قلبه، وما يرجو من نفع ذلك له.

ولقد خبرني خباز لبعض أصحابنا، أنه جلده على إنضاج الخبز، وأنه قال له: أنضج خبزي الذي يوضع بين يدي، واجعل خبز من يأكل معي على مقدار بين المقدارين.

وأما خبز العيال والضيف فلا تقربنه من النار إلا بقدر ما يصير العجين رغيفاً، وبقدر ما يتماسك فقط! فكلفه العويص. فلما أعجزه ذلك، جلده حد الزاني الحر! فحدثت بهذا الحديث عبد الله العروضي، فقال: ألم تعرف شأن الجدي؟ ضرب الشواء ثمانين سوطاً لمكان الإنضاج! وذلك أنه قال له: ضع الجدي في التنور حين تضع الخوان، حتى أستبطئك أنا في إنضاجه. وتقول أنت: بقي قليل! ثم تجيئنا

به، وكأني قد أعجلتك! فإذا وضع بين أيديهم غير منضج، احتسبت عليهم بإحضار الجدي.

فإذا لم يأكلوه أعدته إلى التنور، ثم أحضرتناه الغد بارداً. فيقوم الجدي الواحد مقام جديين! فجاء به الشواء يوماً نضيجاً، فعمل فيه القوم. فجلده ثمانين جلدة، جلد القاذف الحر! وحدثني أحمد بن المثنى عن صديق لي وله، ضخم البدن، كثير العلم، فاشي الغلة، عظيم الولايات، أنه إذا دعا على مائدته بفضل دجاجة، أو بفضل رقاق، أو غير ذلك، رد الخادم مع الخباز إلى القهرمان، حتى يصك له بذلك إلى صاحب المطبخ! ولقد رأيته مرة وقد تناول دجاجة، فشقها نصفين، فألقى نصفها إلى الذي عن يمينه، ونصفها إلى الذي عن شماله. ثم قال: يا غلام! جئني بواحدة رخصة، فإن هذه كانت عضلة جداً. فحسبت أن أقل ما عند الرجلين ألا يعودا إلى مائدته أبداً.

فوجدتهما قد فخرا علي بما حباهما به من ذلك دوني!

وكانوا ربما خصوه، فوضعوه بين يديه الدراجة السمينة، والدجاجة الرخصة. فانطفأت الشمعة في ليلة من تلك الليالي. فأغار على الأسواري على بعض ما بين يديه، واغتنم الظلمة. وعمل على أن الليل أخفى للويل! ففطن له، وما هو بالفطن إلا في هذا الباب. وقال: كذلك الملوك كانت لا

تأكل مع السوقة! وحثني أحمد بن المثنى أنهم كانوا يعمدون إلى الجرادق التي ترفع عن مائدته: فما كان منها ملطخاً، دلك دلكاً شديداً، وما كان منها قد ذهب جانب منه، قطع بسكين من ترابيع الرغيف مثل ذلك، لئلا يشك من رآه أنهم قد تعمدوا ذلك. وما كان من الأنصاف والأرباع جعل بعضه للثريد، وقطع بعضه كالأصابع، وجعل مع بعض القلايا.

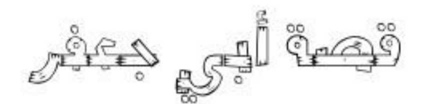
ولقد رأيت رجلاً ضخماً، فخم اللفظ، فخم المعاني، تربية في ظل ملك؛ مع علوهم، ولسان عضب، ومعرفة بالغامض من العيوب، والدقيق من المحاسن؛ مع شدة تسرع إلى أعراض الناس، وضيق صدر بما تعرف من عيوبهم.

وإن ثريدته لبلقاء، إلا أن بياضها ناصع، ولونها الآخر أصهب! ما رأيت ذلك مرة ولا مرتين.

وكنت قد هممت قبل ذلك لأن أعاتبه على الشيء يستأثر به، ويختص به، وأن أحتمل ثقل تلك النصيحة وبشاعتها، في حظه وفي النظر له. ورأيت أن ذلك لا يكون إلا من حاق الإخلاص، ومن فرط الإخاء من الإخوان. فلما رأيت البلقة هان علي التحجيل والغرة. ورأيت أن ترك الكلام أفضل، وأن الموعظةلغو.

وقد زعم أبو الحسن المدائني أن ثريدة مالك بن المنذر كانت بلقاء. ولعل ذلك أن يكون باطلاً. وأما أنا فقد رأيت بعيني من هذا الرجل ما لا أخبرك به، وهو شيء لم أره إلا فيه، ولا سمعت به في غيره. ولسنا من تسمية الأصحاب المتهتكين، ولا غيرهم من المستورين في شيء. أما الصاحب فإنا لا نسميه لحرمته، وواجب حقه. والآخر لا نسميه ليستر الله عليه، ولما يجب لمن كان في مثل حاله. وإنما نسمي من خرج من

هاتين الحالتين. ولربما سمينا الصاحب إذا كان ممن يمازج بهذا، ورأيناه يتظرف، ويحمل ذلك الظرف سلماً إلى منع شينه.



ولم أر مثل أبي جعفر الطرسوسي: زار قوماً فأكرموه وطيبوه، وجعلوا في شاربه وسبلته غالية. فحكته شفته العليا، فأدخل إصبعه فحكها من باطن الشفة، مخافة أن تأخذ إصبعه من الغالية شيئاً، إذا حكها من فوق! وهذا وشبهه إنما يطيب جداً إذا رأيت الحكاية بعينك، لأن الكتاب لا يصور لك كل شيء، ولا يأتي لك على كنهه، وعلى حدوده وحقائقه.

أسنان المشط

كان أحد البخلاء متضايقاً وحزيناً ، فسأله زميله : ما بك ؟
فقال البخيل : لقد انكسرت سنة من أسنان مشطي .وأنا أريد تسريح شعري.
الزميل : ألا يمكنك استخدام المشط دون هذه السنة ؟
البخيل : لا ... لأنها كانت السنة الأخيرة!!!

قصة الشيخ الخراساني

كان يأكل في بعض المواضع إذ مر به رجل فسلم عليه فرد الشيخ السلام ثم قال: هلم عافاك الله.

فتوجه الرجل نحوه فلما رآه الشيخ مقبلاً قال له : مكانك ... فإن العجلة من عمل الشيطان.

فوقف الرجل، فقال له الخرساني: ماذا تريد؟

قال الرجل: أريد أن أتغذى.

قال الشيخ: ولم ذاك ؟ وكيف طمعت في هذا ؟ ومن أباح لك مالي؟

قال الرجل: أوليس قد دعوتني ؟

قال الشيخ: ويحك، لو ظننت أنك هكذا أحمق ما رددت عليك السلام.

الأمر هو أن أقول أنا: هلم فتجيب أنت: هنيئاً فيكون كلام بكلام . فأما كلام بفعال وقول بأكل فهذا ليس من الإنصاف

رائحة البخور

بخيلاً قال:

حبذا الشتاء فإنه يحفظ رائحة البخور، ولا يحمض فيه النبيذ إذا ترك مفتوحاً، ولا يفسد فيه مرق إذا بقي أياماً، وكان لا يتبخر إلا في منازل أصحابه، فإذا كان في الصيف دعا بثيابه فلبسها على قميصه لكيلا يضيع من البخور شيء".

حكاية ديكة مرو

التي قال عنها (ثمامة):

لم أر الديك في بلدة قط إلا وهو لافظ، يأخذ الحبة بمنقاره، ثم يلفظها قدام الدجاجة، إلا ديكة مرو، فإني رأيت ديكة مرو تسلب الدجاج ما في مناقيرها من الحب قال: فعلمت أن بخلهم شيء في طبع البلاد, وفي جواهر الماء، فمن ثم عم جميع حيوانهم.

وعندما سمع أحمد بن رشيد حديث ديكة مرو البخيلة من ثمامة قال: كنت عند شيخ من أهل مرو، وصبي له صغير يلعب بين يديه، فقلت له إما عابثاً وإما ممتحناً: أطعمني من خبزكم، قال: لا تريده هو مر، فقلت: فاسقني من مائكم، قال: لا تريده هو مالح، قلت: هات لي من كذا وكذا، قال: لا تريده هو كذا وكذا. إلى أن أعددت أصنافاً كثيرة كل ذلك يمنعنيه ويبغضه إليّ فضحك أبوه وقال: ما ديننا؟ هذا من علمه ما تسمع؟ يعني: أن البخل طبع فيهم وفي أعراقهم وطينتهم.



وأما أبو محمد الحزامي، عبد الله بن كاسب، كاتب مويس، وكاتب داود بن أبي داود، فإنه كان أبخل من برأ الله، وأطيب من برأ الله. وكان له في البخل كلام. وهو أحد من ينصره ويفضله، ويحتج له، ويدعو إليه.

وإنه رآني مرة في تشرين الأول، وقد بكر البرد شيئاً. فلبست كساء لي قومسياً خفيفاً، قد نيل منه. فقال لي: ما أقبح السرف بالعاقل، وأسمج الجهل بالحكيم! ما ضننت أن إهمال النفس وسوء السياسة بلغ بك ما أرى! قلت: وأي شيء أنكرت منا مذ اليوم؟ وما كان هذا قولك فينا بالأمس.

فقال: لبسك هذا الكساء قبل أوانه. قلت: قد حدث من البرد بمقداره. ولو كان هذا البرد الحادث في تموز وآب لكان إباناً لهذا الكساء.

قال: إن كان ذلك كذلك، فاجعل بدل هذه المبطنة جبة محشوة؛ فإنها تقوم هذا المقام، وتكون قد خرجت من الخطأ. فأما لبس الصوف اليوم، فهو اليوم غير جائز.

قلت: ولم? قال: لأن غبار آخر الصيف يتداخله، ويسكن في خلله. فإذا أمطر الناس، وندى الهواء، وابتل كل شيء، ابتل ذلك الغبار.

وإنما الغبار تراب، إلا أنه لباب التراب. وهو مالح، ويتقبض عند ذلك عليه الكساء ويتكرش؛ لأنه صوف، فينضم أجزاؤه عليه، فيأكله أكل القادح، ويعمل فيه عمل السوس.

ولهو أسرع فيه من الأرضة في الجذوع النجرانية! ولكن أخر لبسه؛ حتى إذا أمطر الناس، وسكن الغبار، وتلبد التراب، وحط المطر ما كان في الهواء من الغبار، وغسله وصفاه، فالبسه حينئذ على بركة الله! وكان يقع إلى عياله بالكوفة كل سنة مرة، فيشتري لهم من الحب مقدار طبيخهم، وقوت سنتهم. فإذا نظر إلى حب هذا، وإلى حب هذا، وقام على سعر، اكتال من كل واحد منها كيلة معلومة، ثم وزنها بالميزان، واشترى أثقلها وزناً.

قصة تمام بن جعفر

كان تمام بن جعفر بخيلاً على الطعام، مفرط البخل. وكان يقبل على كل من أكل خبزه بكل علة، ويطالبه بكل طائلة، وحتى ربما استخرج عليه أنه لابن، جلاد الدم.

وكان إن قال له نديم له: ما في الأرض أحد أمشي مني، ولا على ظهرها أحد أقوى على الحضر مني! قال: وما يمنعك من ذلك، وأنت تأكل أكل عشرة؟ وهل يحمل الرجل إلا البطن؟ لا حمد الله من يحمدك! فإن قال: لا والله إن أقدر أن أمشي، لأني أضعف الخلق عنه، وإني لأنبهر من مشى ثلاثين خطوة! قال: وكيف تمشي وقد جعلت في بطنك ما يحمله عشرون حمالاً! وهل ينطلق الناس إلا مع خفة الأكل؟ وأي بطين بقدر على الحركة؟ وإن الكظيظ ليعجز عن الركوع والسجود، فكيف

بالمشي النكير! فإن شكا ضرسه وقال: ما نمت البارحة مع وجعه وضربانه، قال: عجبت كيف اشتكيت واحداً، وكيف لم تشتك الجميع! وكيف بقيت إلى اليوم في فيك حاكة! وأي ضرس يقوى على الدرس والطحن! والله إن الأرحاء السورية لتكل، وإن الميجان الغليظ ليتعبه الدق! ولقد استبطأت لك هذه العلة! ارفق، فإن الرفق

يمن، ولا تخرق بنفسك، فإن الخرق شؤم! وإن قال: لا والله، إن اشتكيت ضرساً لي قط، ولا تجلجل لي سن عن موضعه منذ عرفت نفسي، قال: يا مجنون! لأن كثرة

المضغ تشد العمور، وتقوي الأسنان، وتدبغ اللثة، وتغدو أصولها. وإعفاء الأضراس من المضغ يريحها. وإنما الفم جزء من الإنسان.

وكما الإنسان نفسه إذا تحرك وعمل قوى، وإذا طال سكونه تفتخ واسترخى، فكذلك الأضراس. ولكن رفقاً! فإن الإتعاب ينقص القوة. ولكل شيء مقدار ونهاية. فهذا ضرسك لا تشتكيه، بطنك أيضاً لا تشتكيه؟ فإن قال: والله إن أروى من الماء.

وما أظن أن في الدنيا أحداً أشرب مني للماء، قال: لابد للتراب من ماء، ولابد للطين من ماء يبله ويرو. أوليست الحاجة على قدر كثرته وقلته؟ والله لو شربت ماء الفرات ما استكثرته لك، مع ما أرى من شدة أكلك، وعظم لقمتك! تدري ما قد تصنع؟ أنت والله تلعب! أنت لست ترى نفسك! فسل عنك من يصدقك، حتى تعلم أن

ماء دجلة يقصر عما في جوفك! فإن قال: ما شربت اليوم ماء البتة، وما شربت أمس بمقدار نصف رطل، وما في الأرض إنسان أقل شرباً مني للماء، قال: لأنك لا تدع لشرب الماء موضعاً! ولأنك تكنز في جوفك كنزاً لا يجد الماء معه مدخلاً! والعجب لا تتخم؛ لأن من لا يشرب الماء على الخوان لا يدري مقدار ما أكل، ومن جاوز مقدار الكفاية كان حرياً بالتخمة.

فإن قال: ما أنام الليل كله، وقد أهلكني الأرق، قال: وتدعك الكظة والنفخة والقرقرة أن تنام؟ والله لو لم يكن إلا العطش الذي ينبه الناس لما نمت. ومن شرب كثيراً بال كثيراً. ومن كان الليل كله بين شرب وبول كيف يأخذه النوم؟ فإن قال: ما هو إلا أن أضع رأسي، فإنما أنا حجر ملقى إلى الصبح، قال: ذلك لأن الطعام يسكن ويخدر

ويحير، ويبل الدماغ، ويبل العروق، ويسترخي عليه جميع البدن. ولو كان في الحق، لكان ينبغي أن تنام الليل والنهار! فإن قال: أصبحت وأنا لا أشتهي شيئاً، قال: إياك أن تأكل قليلاً ولا كثيراً؛ فإن أكل القليل على غير شهوة، أضر من الكثير

مع الشهوة. قال الخوان: ويل لي ممن قال: لا أريد! وبعد، وكيف تشتهي الطعام اليوم، وأنت قد أكلت بالأمس طعام عشرة! وكان كثيراً ما يقول لندمائه: إياكم والأكل على الخمار، فإن دواء الخمار الشراب.

الخمار تخمة.

والمتخم إذا أكل مات لا محالة. وإياكم والإكثار في عقب الحجامة والفصد والحمام. وعليكم بالتخفيف في الصيف كله. واجتنبوا اللحم خاصة.
وكان يقول: ليس يفسد الناس إلا الناس: هذا الذي يتكلم بالكلام البارد، وبالطرف

المستنكرة، لو لم يصب من يضحك له، وبعض من يشكره ويتضاحك له – أوليس هو عنده إلا أن يظهر العجب له؟ – لما تكلف النوادر. ألا أهلك قول الناس للأكول النهم، وللرغيب الشره: فلان حسن الأكل! هو الذي أهلكه، وزاد في رغبته، حتى

جعل ذلك صناعة، وحتى ربما أكل – لمكان قولهم وتقريبهم وتعجبهم – ما لا يطيقه فيقتل. فلا يزال قد هجم على قوم، فأكل زادهم، وتركهم بلا زاد! فلو قالوا بدل قولهم: فلان حسن الأكل: فلان أقبح الناس أكلاً، كان ذلك صلاحاً لفريقين.

ولا يزال البخيل على الطعام قد دعا الرغيب البطن، واتخذ له الطعام الطيب، لفي عن نفسه المقالة، وليكذب عن نفسه تلك الظنون.

ولو كان شدة الضرس يعد في المناقب، ويمدح صاحبه في المجالس، لكان الأنبياء آكل الخلق، ولخصهم الله – جل ذكره – من الرغب بما لم يعطه أحداً من العالمين. وكيف؟ وفي مأثور الحديث: " إن المؤمن يأكل في معي واحد، وإن المنافق يأكل في سبعة أمعاء " .

أولسنا قد نراهم يشتمون بالنهم، وبالرغب، وبكثرة الأكل؛ ويمدحون بالزهادة، وبقلة الطعام؟ أوليس قد قال النبي صلى الله عليه وسلم:من أدله على الحسناء القتين؟ وقد ساب رجل أيوب ابن سليمان بن عبد الملك، فقال في بعض ما يسبه: ماتت أمك

بغراً، وأبوك بشماً! وبعد، فهل سمعتم بأحد قط فخر بشدة أكل أبيه، فقال: أنا ابن آكل العرب؟ بل قد رأينا أصحاب النبيذ والفتيان يتمدحون بكثرة الشرب، كما يتمدحون بقلة الرزق. ولذلك قالت العرب: قال الشاعر:

تكفيه فلذة كبد إن ألم بها ... من الشواء ويروي شربه الغمر

وقال:

لا يتأرى لما في القدر يطلبه ... ولا تراه أمام القوم يقتفر

وقال:

لا يغمز الساق من أين ولا وصم ... ولا يعض على شرسوفه الصفر

والصفر هي حيات البطون، إنما تكون من الفضول والتخم، ومن الفساد والبشم.

وشرب مرة نبيذ، وغناه المغنى، فشق قميصه من الطرب. فقال لمولى له له يقال له المحلول، وهو إلى جنبه: شق أيضاً أنت – ويلك – قميصك! – والمحلول هذا من

الآيات – قال: لا والله، لا أشقه، وليس لي غيره. قال: فشقه وأنا أكسوك غداً. قال: فأنا أشقه غداً. قال: أنا ما أصنع بشقك له غداً؟ قال: وأنا ما أرجو من شقه الساعة؟

فلم أسمع بإنسان يقايس ويناظر في الوقت الذي إنما يشق فيه القميص من غلبة الطرب، غيره وغير مولاه محلول.

دخل على الأعمى على يوسف بن كل خير، وقد تغدى. فقال: يا جارية، هاتي لأبي الحسن غداء. قالت: لم يبق عندنا شيء. قال: هاتي – ويلك! – ما كان، فليس من

أبي الحسن حشمة! ولم يشك على أنه سيؤتي برغيف ملطخ، وبرقاقة ملطخة، وبسكر، وبقية مرق، وبعرق، وبفضلة شواء، وببقايا ما يفضل في الجامات والسكرجات.

فجاءت بطبق ليس عليه إلا رغيف أرز قاحل، لا شيء غيره.

فلما وضعوا الخوان بين يديه فأجال يده فيه، وهو أعمى، فلم يقع إلا على ذلك الرغيف، وقد عل أن قوله: ليس منه حشمة لا يكون إلا مع القليل. فلم يظن أن الأمربلغ ذلك.

فلما لم يجد غيره قال: ويلكم! ولأكل هذا بمره رفعتم الحشمة كلها؟ والكلام لم يقع إلا على هذا؟ حدثني محمد بن حسان الأسود، قال: أخبرني زكريا القطان، قال: كان للغزال قطعة أرض قدام حانوتي، فأكرى نصفها من سماك يسقط عنه ما استطاع من مؤنة الكراء.

قال: وكان الغزال أعجوبة في البخل. وكان يجيء من منزله ومعه رغيف في كمه.

فكان أكثر دهره يأكله بلا أدم. فإذا أعيا عليه الأمر، أخذ من ساكنه جوافة بحبة، وأثبت عليها فلساً في حسابه! فإذا أراد أن يتغدى أخذ الجوافة فمسحها على وجه

الرغيف، ثم عض عليه! وربما فتح بطن الجوافة، فيطر جنبيها وبطنها باللقمة بعد اللقمة! فإذا خاف أن ينهكها ذلك، وينضم بطنها، طلب من ذلك السماك شيئاً من ملح السمك، فحشا جوفها لينفخها، وليوهم أن هذا هو ملحها الذي ملحت به! ولربما

غلبته شهوته فكدم طرف أنفها، وأخذ من طرف الأرنبة ما يسيغ به لقمته! وكان ذلك منه لا يكون إلا في آخر لقمة، ليطيب فمه بها! ثم يضعها في ناحية.

فإذا اشترى من امرأة غزلاً أدخل تلك الجوافة في ثمن الغزل، من طريق إدخال العروض، وحسبها عليها بفلس، فيسترجع رأس المال، ويفضل الأدم.

وروى أصحابنا عن عبد الله بن المقفع، قال: كان ابن جذام الشيء يجلس إلي. وكان ربما انصرف معي إلى المنزل، فيتغذى معنا، ويقيم إلى أن يبرد.

وكنت أعرفه بشدة البخل وكثرة المال. فألح علي في الاستزارة، وصممت عليه في الامتناع. فقال: جعلت فداك! أنت تظن أني ممن يتكلف، وأنت تشفق علي! لا والله! إن هي إلا كسيرات يابسة وملح وماء الحب! فظننت أنه يريد اختلابي بتهوين الأمر

عليه. وقلت: إن هذا كقول الرجل: يا غلام، أطعمنا كسرة، وأطعم السائل خمس تمرات. ومعناه أضعاف ما وقع اللفظ عليه.

وما أظن أن أحداً يدعو مثلي إلى الحربية من الباطنة، ثم يأتيه بكسرات وملح. فلما صرت عنده وقربه إلي، إذ وقف سائل بالباب، فقال: أطعمونا مما تأكلون، أطعمكم الله من طعام الجنة! قال: بورك فيك! فأعاد الكلام، فأعاد عليه مثل ذلك القول.

فأعاد عليه السائل، فقال: اذهب – ويلك! – فقد ردوا عليك. فقال السائل: سبحان الله! ما رأيت كاليوم أحداً يرد من لقمة، والطعام بين يديه! قال: اذهب – ويلك! – وإلا خرجت إليك والله، فدققت ساقيه! فقلت للسائل: اذهب وأرح نفسك، فإنك لو تعرف من صدق وعبده مثل الذي أعرف، لما وقفت طرفة عين بعد رده إياك! وكان أبو يعقوب الذقنان يقول: ما فاتني اللحم منذ ملكت المال.

وكان إذا كان يوم الجمعة اشترى لحم بقر بدرهم، واشترى بصلاً بدانق، وباذنجاناً بدانق، وقرعة بدانق. فإذا كان أيام الجزر فجزر بدانق! وطبخه كله سكباجاً. فأكل وعياله يومئذ خبزهم بشيء من رأس القدر، وما ينقطع في القدر من البصل والباذنجان والجزر والقرع والشحم واللحم. فإذا كان يوم السبت ثردوا خبزهم في المرق. فإذا كان يوم الأحد أكلوا البصل. فإذا كان يوم الاثنين أكلوا الجزر. فإذا كان يوم الثلاثاء أكلوا القرع. فإذا كان يوم الأربعاء أكلوا الباذنجان. فإذا كان يوم الخميس

أكلوا اللحم.

فلهذا كان يقول: ما فاتني اللحم منذ ملكت المال!

قال أصحابنا:

نزلنا بناس من أهل الجزيرة، وإذا هم في بلاد باردة، وإذا حطبهم شر حطب، وإذا الأرض كلها غابة واحدة طرفاء. فقلنا: ما في الأرض أكرم من الطرفاء. قالوا: هو كريم، ومن كرمه نفر. فقلنا: وما الذي تفرون منه؟ قالوا: دخان الطرفاء يهضم الطعام، وعيالنا كثير! وقد عاب ناس أهل المازح والمدبير بأمور: منها أن خشكانهم من دقيق شعير، وحشوه الذي فيه من الجوز والسكر، من دقيق خشكار.

وأهل المازج لا يعرفون بالبخل. ولكنهم أسوأ الناس حالاً. فتقديرهم على قدر عيشهم. وإنما نحكي عن البخلاء الذين جمعوا بين البخل واليسر، وبين خصب البلاد وعيش أهل الجدب. فأما من يضيق على نفسه لأنه لا يعرف إلا الضيق، فليس سبيله سبيل القوم.

قال المكي: كان لأبي عم يقال له سليمان الكثري. سمى بذلك لكثرة ماله. وكان يقربني وأنا صبي إلى أن بلغت. ولم يهب لي مع ذلك التقريب شيئاً قط. وكان قد جاوز في ذلك حد البخلاء.

فدخلت عليه يوماً، وإذا قدامه قطع دار صيني لا تسوى قيراطاً. فلما نال حاجته منها، مددت يدي لآخذ منها قطعة. فلما نظر إلي قبضت يدي! فقال: لا تنقبض وانبسط واسترسل. وليحسن ظنك، فإن حالك عندي على ما تحب! فخذه كله، فهو لك بزوبره وبحذافيره! وهو لك جميعاً! نفسي بذلك سخية! والله أعلم أني مسرور بما وصل إليك من الخير! فتركته بين يديه، وقمت من عنده، وجعلت وجهي كما أنا إلى العراق! فما رأيته وما رآني حتى مات.

وقال المكي: سمعني سليمان وأنا أنشد شعر امرئ القيس:

لنا غنم نسوقها غزار ... كأن قرون جلتها العصي

فتملأ بيتنا أقطاً وسمناً ... وحسبك من غنىً شبع وروي

قال: لو كان الذي قال ليحيى بن خالد حين نقب في أبي قبيس، وزاد في داره: عمدت إلى شيخ الجبال فزعزعته، وثلمت فيه.

وقال حين عوتب في قلة الضحك، وشدة القطوب: إن الذي يمنعني من الضحك أن الإنسان أقرب ما يكون من البذل، إذا ضحك، وطابت نفسه! صحبني محفوظ النقاش من مسجد الجامع ليلاً. فلما صرت قرب منزله - وكان منزله أقرب إلى مسجد الجامع من منزلي - سألني أن أبيت عنده. وقال: أين تذهب في هذا المطر والبرد، ومنزلي منزلك، وأنت في ظلمة، وليس معك نار؟ وعندي لباً لم ير الناس مثله، وتمر ناهيك به جودة، لا تصلح إلا له! فملت معه، فأبطأ ساعة. ثم جاءني بجام لبإ

وطبق تمر.

فلما مددت قال: يا أبا عثمان، إنه لبإ وغلظه! وهو الليل وركوده! ثم ليلة مطر ورطوبة، وأنت رجل قد طعنت في السن. ولم تزل تشكو من الفالج طرفاً.

وما زال الغليل يسرع إليك. وأنت في الأصل لست بصاحب عشاء! فإن أكلت اللبأ ولم تبالغ، كنت لا آكلاً ولا تاركاً؛ وحرشت طباعك. ثم قطعت الأكل أشهى ما كان إليك. وإن بالغت، بتنا في ليلة سوء من الاهتمام بأمرك، ولم نعد لك نبيذاً ولا عسلاً.

وإنما قلت هذا الكلام لئلا تقول غداً: كان وكان! والله وقد وقعت بين نابي أسد! لأني لو لم أجئك به وقد ذكرته لك، قلت: بخل به، وبدا له فيه. وإن جئت به ولم أحذرك منه، ولم أذكرك كل ما عليك فيه، قلت: لم يشفق علي ولم ينصح.

فقد برئت إليك من الأمرين جميعاً. وإن شئت فأكلة وموتة! وإن شئت فبعض الاحتمال ونوم على سلامة! فما ضحكت قط كضحكي تلك الليلة.

ولقد أكلته جميعاً، فما هضمه إلا الضحك والنشاط والسرور، فيما أظن.

ولو كان معي من يفهم طيب ما تكلم به، لأتى على الضحك، أو لقضى علي. ولكن ضحك من كان وحده لا يكون على شطر مشاركة الأصحاب.

وقال أبو القماقم: أول الإصلاح ألا يرد ما صار في يدي لك؛ فإن كان ما صار في يدي لي فهو لي، وإن لم يكن لي فأنا أحق به ممن صيره في يدي! ومن أخرج من يده شيئاً إلى يد غيره من غير ضرورة، فقد أباحه لمن صيره إليه! وتعريفك إياه مثل إباحته.

وقالت له امرأة: ويحك يا أبا القماقم! إني قد تزوجت زوجاً نهارياً، والساعة وقته. وليست على هيئته. فاشتر لي بهذا الرغيف أساً، وبهذا الفلس دهناً، فإنك تؤجر! فعسى الله أن يلقي محبتي في قلبه، فيرزقني على يدك شيئاً أعيش به، فقد والله

ساءت حالي، وبلغ المجهود مني - فأخذهما، وجعله وجهه! فرأته بعد أيام فقالت: سبحان الله! أما رحمتني مما صنعت بي! قال: ويحك! سقط والله مني الفلس، فمن الغم أكلت الرغيف!

وتعشق واحدة، فلم يزل يتبعها ويبكي بين يديها، حتى رحمته. وكانت مكثرة، وكان مقلاً. فاستهداها هريسة، وقال: أنتم أحذق بها! فلما كان بعد أيام تشهى عليها رءوساً. فلما كان بعد قليل، طلب منها حيسة. فلما كان بعد ذلك، تشهى عليها طفيشلية. قالت المرأة: رأيت عشق الناس يكون في القلب وفي الكبد وفي الأحشاء.

وعشقك أنت ليس يجاوز معدتك! وقال أبو الأصبغ: ألح أبو القماقم على قوم عند الخطبة إليهم، يسأل عن مال امرأة ويحصيه، ويسأل عنه. فقالوا: قد أخبرناك بما لها، فأنت أي شيء مالك؟ قال: وما سؤالكم عن مالي؟ الذي لها يكفيني ويكفيها! سمعت شيخاً من مشايخ الأبلة يزعم أن فقراء أهل البصرة، أفضل من فقراء أهل الأبلة. قلت: بأي شيء فضلتم؟ قال: هم أشد تعظيماً للأغنياء، وأعرف بالواجب.

ووقع بين رجلين أبليين كلام، فأسمع أحدهما صاحبه كلاماً غليظاً، فرد عليه مثل كلامه. فرأيتهم قد أنكروا ذلك إنكاراً شديداً، ولم أر لذلك سبباً. فقلت: لم أنكرتم أن يقول له مثل ما قال؟ قالوا: لأنه أكثر منه مالاً. وإذا جوزنا هذا له، جوزنا لفقرائنا أن يكافئوا أغنياءنا، ففي هذا الفساد كله! وقال حمدان بن صباح: كيف صار رياح يسمعني ولا أسمعه؟ أفهو أكثر مالاً مني؟ ثم سكت.

قال: ويكون الزائر من أهل البصرة عند الأبلي مقيماً مطمئناً. فإذا جاء المد قالوا: ما رأينا مداً قط ارتفع ارتفاعه. وما أطيب السير في المد! والسير في المد إلى البصرة، أطيب من السير في الجزر إلى الأبلة! فلا يزالون به حتى أن من الرأي أن يغتنم ذلك المد بعينه! كان أحمد الخاركي بخيلاً، وكان نفاجاً.

وهذا أغيظ ما يكون. وكان يتخذ لكل جبة أربعة أزرار، ليرى الناس أن عليه جبتين، ويشتري الأعذاق والعراجين والسعف من الكلاء؛ فإذا جاء الحمال إلى بابه تركه ساعة، يوهم الناس أن له من الأرضين ما يحتمل أن يكون ذلك كله منها.

وكان يكتري قدور الخمارين التي تكون للنبيذ، ثم يتحرى أعظمها، ويهرب من الحمالين بالكراء؛ كي يصيحوا بالباب: يشترون الداذي والسكر، ويحبسون الحمالين بالكراء! وليس في منزله رطل دبس! وسمع قول الشاعر:

رأيت الخبز عز لديك حتى ... حسبت الخبز في جو السحاب

وما روحتنا عنا ... ولكن خفت مرزئة الذباب

فقال: ولم ذب عنهم؟ لعنه الله! ما أعلم إلا أنه شهى إليهم الطعام، ونظف لهم القصاع، وفرغهم له، وسخرهم عليه! ثم ألا تركها تقع في قصاعهم، وتسقط على آنافهم وعيونهم! هو والله أهل لما هو أعظم من هذا! كم ترون من مرة قد أمرت الجارية أن تلقي في القصعة الذبابة والذبابتين والثلاثة، حتى يتقزز بعضهم، ويكفي الله شره! قال: وأما قوله: رأيت الخبز عز لديك حتى قال: فإن لم أعز هذا الشيء الذي هو قوام أهل الأرض، وأصل الأقوات، وأمير الأغذية، فأي شيء أعز؟ إي والله، إني أعزه وأعزه وأعزه وأعزه، مدى النفس، ما حملت عيني الماء.

وبلغ من نفجه مع ذلك، ما أخبرني به إبراهيم بن هانئ، قال: كنت عنده يوماً إذ مر به بعض الباعة، فصاح الخوخ الخوخ! فقلت: وقد جاء الخوخ بعد؟ قال: نعم، قد جاء وقد أكثرنا منه. فدعاني الغيظ عليه إلى أن دعوت البياع، وأقبلت على ابن الخاركي، فقلت: ويحك! نحن لم نسمع به بعد، وأنت قد أكثرت منه! وقد تعلم أن أصحابنا أترف منك! ثم أقبلت على البياع فقلت: كيف تبيع الخوخ؟ فقال: ستة بدرهم، قلت: أنت ممن يشتري ست خوخات بدرهم، وأنت تعلم أنه بياع بعد أيام مائتين بدرهم؟ ثم

تقول: وقد أكثرنا منه، وهذا يقول: ستة بدرهم؟ قال: وأي شيء أرخص من ستة أشياء بشيء؟ كان غلام صالح بن عفان يطلب منه لبيت الحمار بالليل.

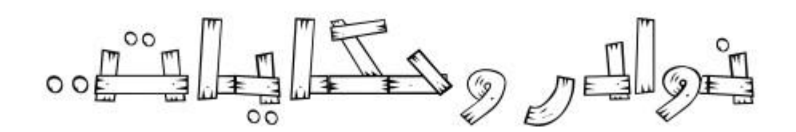
فكان يعطيه كل ليلة ثلاثة أفلس - والفلوس أربعة طسوج - ويقول: طسوج يفضل وحبة تنقص، وبينهما يرمي الرامي! وكان يقول لابنه: تعطي صاحب الحمام وصاحب المعبر لكل واحد منهما طسوجاً، وهو إذا لم ير معك إلا ثلاثة أفلس لم يردك؟ قال أبو كعب: دعا موسى بن جناح جماعة من جيرانه ليفطروا عنده في شهر رمضان.

وكنت فيهم. فلما صلينا المغرب، ونجز ابن جناح، أقبل علينا ثم قال: لا تعجلوا، فإن العجلة من الشيطان. وكيف لا تعجلون وقد قال الله جل ذكره: وكان الإنسان عجولاً، وقال: خلق الإنسان من عجل؟ - اسمعوا ما أقول، فإن فيما أقول حسن المؤاكلة، والبعد من الأثرة، والعاقبة الرشيدة، والسيرة المحمودة. وإذا مد أحدكم يده إلى الماء فاستسقى - وقد أتيتم ببهطة، أو بجوذابة، أو بعصيدة، أو ببعض ما يجري في الحلق ولا يساغ بالماء، ولا يحتاج فيه إلى مضغ، وهو طعام يد لا طعام يدين، وليست على أهل اليد منه مؤنة، وهو مما يذهب سريعاً - فأمسكوا، حتى يفرغ صاحبكم؛ فإنكم تجمعون عليه خصالاً: منها، أنكم تنغصون عليه بتلك السرعة، إذا علم أنه لا يفرغ إلا مع فراغكم.

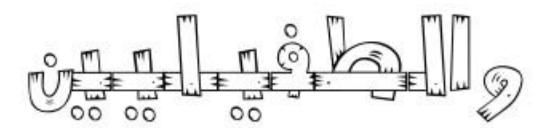
ومنها، أنكم تخنقونه ولا يجد بداً من مكافأتكم؛ فلعله أن يتسرع إلى لقمة حارة فيموت وأنتم ترونه. وأدنى ذلك أن تبعثوه على الحرص، وعلى عظم اللقم. ولهذا ما قال الأعرابي حين قيل له: لم تبدأ بأكل اللحم الذي فوق الثريد؟ قال: لأن اللحم ظاعن، والثريد مقيم! وأنا وإن كان الطعام فإني كذلك أفعل. فإذا رأيتم فعلي مخالف قولي، فلا طاعة لي عليكم.

قال أبو كعب: فربما نسي بعضنا، فمد يده إلى القصعة، وقد مد يده صاحبه إلى الماء، فيقول له موسى: يدك يا ناسي! ولولا شيء لقلت لك: يا متغافل! قال: وأتانا بارزة. ولو شاء إنسان أن يعد حبها لعده، لتفرقه ولقلته. قال: فنثروا عليها ليلة من ذلك مقدار نصف سكرة.

فوقعت ليلتئذ في قطعة، وكنت إلى جنبه، فسمع صوتها حين مضغتها، فضرب يده على جنبي، ثم قال: اجرش يا أبا كعب اجرش! قلت: ويلك! أما تتقي الله! كيف أجرش جزءاً لا يتجزأ؟.


نوادر وحكايات..


أشعب.. طفيل..


والطفيليين

الموت جوعاً

نزل " أشعب " عند رجل يوماً فقدم له أربعة أرغفة

وذهب ليحضر له لحماً ، ولما جاء باللحم وجده قد أكل الخبز.

فترك عنده اللحم ، وأتى بخبز ثانية ، فوجده قد أكل اللحم .

ففعل الرجل معه ذلك عشر مرات .. ثم سأل الرجل أشعبا : إلى أين ذاهب يا أشعب، وما هو مقصدك ؟

فقال أشعب : أني ذاهب إلى الشام

فقال له الرجل : ولماذا إلى الشام ؟ هل لديك تجارة أو عمل ما؟ فقال له

أشعب .. بلغني أن بها طبيباً حاذقاً لأساله عما يصلح معدتي فأني قليل الشهية

للطعام وصحتي تتدهور وخوفي من إنني أموت ويقول الأصدقاء

أن " أشعب " مات جائعاً فيكون عاراً علي ..

فقال الرجل لأشعب : لي وصية لك عندما تشف

فقال أشعب : وما هي يا عزيزي ؟

قال الرجل : إذا وجدت الطبيب واصلح معدتك فأرجوك أن لا تجعل عودتك من

هنا

اَطْمَعُ مِنْ اَشْعَبَ.

هو رجل من اهل المدينة يقال له "اشْعَبُ الطَّمَّاع" وهو اشْعَبُ بن جُبَير مولَى عبدِ الله بن الزبير، وكنته ابو العلاء، سال ابو السمراء ابا عبيدة عن طَمَعه، فقال: اجتمع

عليه يوماً غِلْمان من غِلْمان المدينة يُعَابثونه، وكان مَزَّاحاً ظريفاً مغنياً، فاذاه الغِلْمة، فقال لهم: ان في دار بني فلان عُرْساً، فانْطَلِقُوا الي ثَمَّ فهوا انْفَعُ لكم، فانْطَلَقُوا وتركوه، فلما مَضَوْا قال: لعل الذي قلتُ من ذلك حَقّ، فمضى في اثرهم نحو الموضع، فلم يجد شيئاً، وظفر به الغلمانُ هناك فاذِوْه.

وكان اشعب صاحبَ نوادر واسناد، وكان اذا قيل له حدثنا، يقول: حدثنا سالم بن عبد الله – وكان يبغضني في الله – فيقال له: دَعْ ذا، فيقول: ما عَنِ الحقّ مَدْفَع، ويروى: ليس للحق مَتْرَك، وكانت عائشة بنت عثمان كَفَلَته وكفلت معه ابن ابي الزناد فكان يقول اشعب: تربيت انا وابن ابي الزناد في مكان واحد، فكنْتُ اسْفُلُ ويعلو، حتى بلغنا الى ما ترون.

وقيل لعائشة: هل انَسْتِ من اشْعَبَ رُشْداً؟ فقالت: قد اسلمتُه منذ سَنَةٍ في البز [ص 440] فسالته بالامس: اين بلغت في الصناعة؟ فقال: يا أُمَّه قد تعلمْتُ نصفَ العمل، وبقي على نصفه، فقلت: كيف؟ فقال: تعلمت النَّشْرَ في سنة، وبقي على تعلم الطيِّ، وسَمِعْتُهُ اليومَ يخاطب رجلا وقد ساوَمَه قوس بندق، فقال: بدينار، فقال: والله لو كنت اذا رميت عنها طائراً وقع مَشْوِياً بين رغيفين ما اشتريتها بدينار، فايَّ رشد يؤنس منه؟.

قال مصعب بن الزبير خرج سالم بن عبد الله بن عمر الى ناحية من نواحي المدينة هو وحُرَمُه وجَوَاريه، وبلغ اشعبَ الخبرُ، فوافى الموضع الذي هم به، يريد التطفل، فصادف البابَ مُغْلَقاً فتسوَّرَ الحائط، فقال له سالم: وَيْلَكَ يا اشعب من بناتي وحُرَمي ؟ فقال: لقد علمْتَ ما لنا في بناتك من حق، وانك لتعلم ما نريد، فوجَّهَ اليه من الطعام ما اَكلَ وحَمَلَ الى منزله.

وقال اشعب: وَهِبَ لي غلامٌ، فجئت الى امي بحمار موقور من كل شيء والغلام، فقالت امي: ما هذا الغلام؟ فاشفقت عليها من ان اقول: وهب لي، فتموت فرحا، فقلت: وهب لي غين، فقالت: وما غين؟ قلت: لام، قالت: وما لام ؟ قلت: الف، قلت: وما الف ؟قلت: ميم، قالت: وما ميم؟ قلت: وهب لي غلام، فغشى عليها فَرَحاً، ولو لم اقطع الحروف لماتت.

وقال له سالم بن عبد الله: ما بلغ من طَمَعِك؟قال: ما نظرتُ قَطُّ الى اثنين في جنازة يتساران الا قَدَّرْتُ ان الميتَ قد اوصى لي من ماله بشيء، وما ادخل اَحَدٌ يده في كمه الا اظنه يعطيني شيئاً.

وقال له ابن ابي الزناد: مابلغ من طمعك؟ فقال: ما زُفَّتْ بالمدينة امراة الا كَسَحْتُ بيتي رجاء ان يغلظ بها الي.

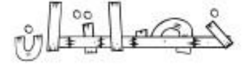
وبلغ من طمعه انه مَرَّ برجل يعمل طَبَقاً فقال: احبُّ ان تزيدَ فيه طوقا، قال: ولم؟ قال: عسى ان يُهْدَي الى فيه شيء .

ومن طمعه انه مر برجل يمضغ علكا، فتبعه اكثر ن ميل حتى علم انه علك.

وقيل له: هل رايتَ اطمَعَ منك؟ قال: نعم، خرجت الى الشام مع رفيق لي، فنزلنا عند دَيْر فيه راهب، فتلاحَيْنَا في امر، فقلت: الكاذب منا كذا من الراهب في كذا منه، فنزل الراهبُ وقد انغط، وقال: ايكما الكاذب ؟ ثم قال اشعب: ودَعُوا هذا، امراتي اَطْمَعُ مني ومن الراهب، قيل له: وكيف؟ قال: انها قالت لي كما يخطر على قلبك من الطمع شيء يكون بين الشك واليقين الا و[انا] اتيقنه. [ص 441]

-2334اَطْمَعُ مِنْ طُفَيْلٍ.

هو رجل من اهل الكوفة مشهور بالطمع واللَّعْمَظَة، واليه يُنْسَبُ الطفيليون، وسياتي ذكره مستقصى في باب الواو عند قولهم" اَوْغَلُ من طُفَيْلٍ".



قيل لأشعب: لو أنك حفظت الحديث حفظك هذه النوادر، لكان

أولى بك.

قال: قد فعلت.

قالوا: فما حفظت من الحديث؟

قال: حدثني نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من كـــان فيـــه خصلتان كتب عند الله خالصًا مخلصًا".

قالوا: إن هذا حديث حسن فما هاتان الخصلتان؟

قال: نسي نافع واحدة ونسيت أنا الأخرى.

....

مساومة

ساوم أشعب رجلاً بقوس، فقال له: أقل ثمنها دينار.

قال أشعب: والله لو أنك رميت بها طائراً في جو السماء فوقع مشويًّا بين رغيفين ما اشتريتها منك بدينار أبدًا.

....

صلاة

وقيل لأشعب: خففت صلاتك.

قال: إن لم يخالطها رياء.

....

لئن شكرتم

وضرب الحجاج أعرابياً سبعمائة سوط، وهو يقول عند كل سوط: "شكرًا لك يا رب".

فلقيه أشعب، فقال: أتدري لم ضربك الحجاج سبعمائة سوط؟

قال: ما أدري.

قال: لكثرة شكرك الله. يقول الله عز وجل: {لئن شكرتم لأزيدنكم}.

.....

حاجتان

وسأل رجل أشعب أن يُسلفه ويُؤخره

فقال: هاتان حاجتان، فإذا قَضَيْتُ إحداهما فقد أَنْصَفت.

قال له الرجل: رضيت

قال: فأنا أؤخرك ما شئت ولا أسلفك.

.....

قطيفة

رؤي أشعب في السوق يبيع قطيفة، ويقول للمشتري: أريد أن أبرأ إليك من عيب.

قال: وما ذاك؟

قال: يحترق تحتها من دفن فيها.

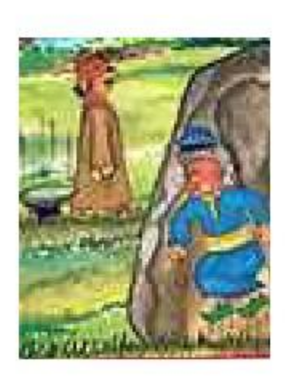
.....

أمي

وقيل لأشعب: هل خلق أطمع منك؟

قال: بلى، أمي؛ فإني كنت إذا جئتها بفائدة قد أُعْطِيتُهَا قالت: ما جئت به؟ فأتهجى لها الشيء حرفاً حرفاً.

ولقد أُهْدِيَ لنا مرة غلام، قالت: ما جئت به؟



قلت: غين.

قالت: ثم ماذا؟

قلت: لام.

قالت: ثم ماذا؟

قلت: ألف.

قالت ثم ماذا؟

قلت: ميم.

فأغمي عليها، ولو أخبرتها به جملة لطار قلبها فرحًا.

......

مدى الطمع

وقيل له: ما بلغ من طمعك؟ قال: لم أنظر إلى اثنين يَتَسَارّان إلا حسبت أنهما يأمران لي بشيء.

.....

القبح

ونظر أشعب إلى رجل قبيح الوجه، فقال: ألم ينهكم سليمان بـــن داود أن تخرجـــوا بالنهار.

.....

طبق

ومَرّ أشعب برجل نَجّار يعمل طبقًا فقال له: زد فيه طوقًا واحدًا تتفضّل به عليّ.

قال: وما يدخل عليك من ذلك؟

قال: لعلّ يومًا يُهدى إلي فيه شيء.

....

طعام سالم

كان أشعب يلازم طعام سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم. فاشتهى سالم أن يأكل مع بناته فخرج إلى البستان، فجاء أشعب إلى منزل سالم على عادته، فـأخبر بالقصة، فاكترى جملاً بدرهم وجاء إلى البستان. فلما حاذى الحائط وثـب فصـار عليه، فغطى سالم بناته بثوبه وقال: بناتي بناتي! فقال أشعب: "لقد علمت ما لنا فـي بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد".

......

سؤال

سئل طفيلي: أي سورة تعجبك من القرآن؟

قال: المائدة.

سئل: فأيّ آية؟

قال: {ذرهم يأكلوا ويتمتعوا}

سئل: ثم ماذا؟

قال: {آتنا غداءنا}

سئل: ثم ماذا؟

قال: ادخلوها بسلام آمنين

سئل: ثم ماذا؟

قال: وما هم منها بمخرجين

أشعب يثأر من السمكة

بينما قوم جلوس عند رجل من أهل المدينة يأكلون عنده حيتانا، إذ استأذن عليهم أشعـــــــــب

فقال أحدهم: إنّ من شأن أشعب البسطَ إلى أَجَلِ الطّعامِ فاجعلوا كبار هذه الحيتان في قصعة بناحيــــــة

ويأكل منها الصغارَ. ففعلوا و إذن له،فقالوا لـــــه:كيف رأْيُكَ في الحيتان؟ فقال: والله إنّ لي عليها لَحْدا

شديدا و حنقا، لأنّ أبي مات في البحر و أكلته الحيتان !قالوا له: فدوك خذ بثأر أبيك! فجلس و مـــدّ يده

إلى حوت منها صغير، ثمّ وضعه عند أذنه ، وقد نظر إلى القصعة التي فيها الحيتان في زاوية المجلس

فقال: أتدرون ما يقول لي هذا الحوت؟ قالوا: لا. قال: إنّه يقول: إنّه لم يحضر موتَ أبي و لم يدركـــه

لأنّ سنّه يصغر عن ذلك، ولكن قال لي: عليك بتلك الكبار التي في زاوية البيت فهي أدركت أباك وأكلته.

ابن عبد ربّه " العقد الفريد"

سيف الجلاد

أمضى أشعب يجول في طرقات جيئة وذهابًا بحثًا عن وليمة لكن دون جدوى فقد سدت كل الأبواب في وجهه وفي نهاية الأمر جلس على رأس الطريق مطرقًا مطأطئ الرأس وراح يقول في نفسه:

-قاتل الله التطفل! يذل صاحبه ويجعله في أسوأ حال

وبينما هو على هذه الحال سمع جلبة تأتي من خلفه فالتفت فرأى عشرة رجال مجتمعين فقال في نفسه:

-أخيرًا ضحك الحظ لك يا أشعب جاءك الفرج.

ولم يلبث أشعب أن قام مسرعًا وتسلل حتى اندس وسط هؤلاء وهو يقول في نفسه:

-أقسم أن هؤلاء ما اجتمعوا إلا لوليمة أو عرس فيه طعام لأحد الأثرياء..

ولم يمض كثير من الوقت حتى جاء رجل يقود هؤلاء الرجال ويمضي بهم في اتجاه زورق قد أعد لهم فقال أشعب لنفسه:

-وليمة ونزهة في وقت واحد؟ !أحمدك يا رب..

ركب أشعب مع الرجال الزورق وانطلق بهم يمخر عباب البحر، وفي وسط البحر قام الرجل الذي كان يقود هؤلاء الناس وقيدهم بالحديد وبالطبع فقد قيد معهم أشعب.

لم يكد الرجل يقيد أشعب بالحديد حتى أيقن أنه وقع في شر أعماله وأن هناك خطأ قد حدث ولم يمض وقت كثير حتى وجد أشعب نفسه في بغداد وجهًا لوجه أمام الخليفة.

أخذ الخليفة يدعو الرجال بأسمائهم واحدًا بعد واحد فيأمر بضرب أعناقهم على الفور فقد كانوا من زعماء الفتنة في البلاد وفي الحال كان السياف يقطع الرقاب كما لو كان يقطف وردًا من بستان!

رأى أشعب الرقاب وهي تطير من حوله فامتلأ قلبه رعبًا وأدرك أنه هالك لا محالة بدون ذنب جناه.

اقترب الخليفة من أشعب ونظر إليه بإمعان حيث لم يكن من المطلوبين للعدالة وقال في دهشة:

-من هذا؟

فرد الجنود قائلين:

-و الله ما ندري غير أنا وجدناه مع القوم فجئنا به !

ازدادت دهشة الخليفة والتفت إلى أشعب وقال مستنكرًا:

-من أنت؟ وما هي حكايتك؟ تكلم قبل أن أطيح برقبتك!

لم يكد أشعب ينظر إلى وجه الخليفة ويرى الشر يتطاير من عينيه حتى ارتعد من

الرعب وارتعشت ساقاه وقال متلعثماً :

-والله يا أمير المؤمنين أنا لا أعلم عن هؤلاء الناس شيئاً وليست بيني وبينهم صلة !

نظر الخليفة بغضب إلى أشعب وقال:

-إذاً ما الذي جاء بك معهم؟ وكيف التقيت بهم؟

سالت الدموع من عيني أشعب وقال وهو يُغالب دموعه :

-إنني رجل طفيلي وقد رأيت هؤلاء القوم مجتمعين فقلت لنفسي : إن هؤلاء ما اجتمعوا إلا لوليمة أو عُرس فيه طعام و أنا منذ يومين لم أذق طعم الطعام!

لم يكد أشعب يُتم كلماته تلك حتى صاح الخليفة قائلاً :

-عذرك هذا غير مقبول

ثم صاح صيحة أشد في حُراسه قائلاً

-أيها الحراس اضربوا عُنق هذا الطفيلي حتى يكون عبرة لكل طفيلي وليعلم كل إنسان أن من تدخل فيما لا يعنيه طارت رقبته ولم يبق جزء سليم فيه!

رأى أشعب الجدية على وجه الخليفة فصاح من شدة الخوف قائلاً:

-أيها الخليفة أعزك الله لي طلب وحيد قبل أن تنفذ في حكم الموت والاعدام!

قال الخليفة: ما هو؟

فأجاب أشعب وهو ينتحب:

-إذا كنت فعلاً قد قررت قتلي فاضرب بطني بالسيف وليس عنقي !

اندهش الخليفة وقال:

-ولماذا يا رجل نضرب بطنك بالذات بالسيف؟

فأجاب أشعب:

-لأن بطني هو الذي ورطني هذه الورطة ولذلك وجب الانتقام منه!

وما أن أتم أشعب كلامه حتى انفجر الخليفة بالضحك و أيقن أن هذا الرجل خفيف الظل ليس من دعاة الفتنة فأمر السياف أن يتركه وقال مخاطباً أشعب :

-كاد طمعك يُوصلك إلى حتفك لولا لطف الله وكرمه بك ثم أقبل الخليفة على أشعب بوجهٍ طلقٍ بعد أن تأكد من براءته وربت على كتفه قائلاً

-هل لك في ((ثريدة)) مغمورة بالزبد مشققة باللحم يا أشعب

فرد أشعب قائلاً :

-و أُضرب كم ؟

فكتم أمير المؤمنين ضحكة وقال:

-بل تأكلها من غير ضرب.

فنظر أشعب إلى الخليفة في ارتياب ثم قال :

-أخبروني– بالله عليكم كم الضرب حتى أتقدم على بصيرة ؟ ضحك الخليفة و أحس بالسعادة تغمره وراح يتبادل مع أشعب الحديث وكان لأحاديث أشعب ونوادره أكبر الأثر في التسرية عن نفسه ثم سأل الخليفة أشعب :

-سمعتُ عن طمعك فأحب أن أسمع منك بنفسي عن مقدار ما بلغته نفسك من الطمع !

ضحك أشعب وقال:

-والله يا أمير المؤمنين ما رأيت اثنين يتساران فيما بينهما إلا ظننتُ أنهما يوصيان لي بشيء !

ازدادت رغبة الخليفة في الحديث إلى أشعب و أحب ممازحته فأشار إلى وزيره إشارة يفهمها وعلى الفور اقترب الوزير من أشعب وقال :

-يا أشعب إنك سترحل بعد قليل وقد أحببتك و أحببت أن تترك لي ذكرى أذكرك بها

ويستحسن أن تهديني خاتمك هذا !

اضطرب أشعب وقال في تلعثم :

-الأفضل أن تتذكرني بأنني منعتك هذا الخاتم لأن هذا أبلغ في الذكرى من إعطائك إياه.

ابتسم الخليفة من فطنة أشعب وأراد أن يستزيد من الضحك فقال في سخرية:

-ولكني سمعت أنك مشغول بالموائد والولائم ولا شأن لك بالعلم والتعلم على الرغم من أن العلم نور!

رد أشعب في ثقة قائلاً:

-لا تقل هذا يا مولاي فقد حفظت حكمتين عظيمتين تعلمتهما من أبي وفيهما فلاح الانسان في الدنيا والأخرة

سأل الخليفة في اهتمام:

-وما هما هاتان الحكمتان؟ شوقتني لمعرفتهما؟

شرد أشعب وأخذ يجيل نظره في كل اتجاه ويعصر ذهنه كي يتذكر شيئًا ذا قيمة ولما رآه الخليفة شارد الذهن صامتًا سأله قائلاً:

-ماهذا يا أشعب هل ستبقى ساكتًا هكذا طويلاً؟

رد أشعب في هدوء:

-معذرة يا مولاي فقد نسيت واحدة!

ابتسم الخليفة ضاحكًا وقال:

-هذه واحدة نسيتها فما بال الثانية؟

وفي ابتسامة ساخرة رد أشعب قائلاً:

-أما الثانية فقد نسيها أبي.

لم يكد أشعب يتم كلامه حتى انفجر الخليفة بالضحك وأمر لأشعب بجائزة كبيرة.

حمل أشعب الجوائز والعطايا عائدًا إلى بيته وهو يتفكر فيما حدث وأنه كان سيفقد حياته ويدفع عمره ثمنًا لطمعه لولا لطف الله وعنايته فقال في نفسه:

-هذه أخر مرة أعرض فيها حياتي للخطر.

ثم ذرف دمعة سالت على خده ومضى في طريقه مسرعًا حتى وصل إلى بيته!

قص أشعب ما حدث على زوجته فحمدت الله على نجاته وعاتبتهُ على فضوله وتطفلهِ الذي كان سيودي بحياته لكنه أكد لها أنها كانت تجربة قاسية تعلم منها ألا يتدخل فيما لا يعنيه ولما انتهى أشعب من كلامه رأى جماعة كبيرة من الناس تقف

في صفوف ويلبسون أزياء موحدة فجرى مسرعا نحوهم وهو يقول :

-والله ما خرج هؤلاء إلا لحفل أحدِ أبناء السلطان ! هرولت الزوجة خلف أشعب الذي كان قد اختفى عن الأنظار وتسلل بين الصفوف فقالت وهي تضرب كفاً بكف :

-حقاً إن الطمع آفة كبيرة لكن أكبر آفات الإنسان النسيان!

تمنى

دخل أشعب الطفيلي على الوليد بن يزيد ، فقال له الوليد : تمن ، فقال أشعب : يتمنى أمير المؤمنين ثم أتمنى

فقال : إنما أردت أن تغلبني ،فإنني لأتمنى ضعف ما تتمنى به كائنا من كان .

فقال أشعب : فإني أتمنى نصيبين من العذاب ، فضحك الوليد

ثم قال : إذا نوفرها عليك

الطعام ساخن

جلس أشعب و هو صبي مع قوم يأكلون فبكى، فسألوه : لماذا تبكي ؟
فقال: الطعام ساخن فقالوا: دعه حتى يبرد. فقال: لكنكم لن تدعوه.

الجدي

حضر أشعب على مائدة بعض الأمراء ، فقدم للأكل جديا مشويا ، فانهال عليه أشعب وجعل يسرع في الأكل بنهم و شراهة ،

فقال له صاحب الدعوة : أراك تأكل الجدي بغيظ وكأن أمه نطحتك

فقال أشعب : أراك تشفق عليه ، كأن أمه أرضعتك

وليمة عرس

يروى أن أشعب أراد أن يتخلص من صحب له كان دعاهم لطعام

عنده فلما وصلوا عند داره قال لهم إذهبوا إلى بيت فلان فإن عندهم وليمة عرس.

فذهب القوم كلهم فلما بقي وحده قال لنفسه : ماذا لو كان فعلا هنالك وليمة .

فذهب مسرعا كي لا يسبقه أصحابه إلى تلك الدار .

شرب الماء

ذات يوم جل سأشعب مع ابنه في إحدى الولائم وجلسا على مائدة واحدة، ولاحظ أشعب أن ابنه أكثر من شرب الماء، وهو يأكل ، فانتظر حتى خرجا، ونادى ولده، ولطمه على وجهه بقسوة قائلا"له:

لو جعلت مكان الماء الذي شربته طعاما" لكان خيرا" لك!

ولكن الابن تحسس مكان اللطمه وقال لوالده:

إنك مخطىء يا والدي... لأن شرب الماء يوسع مكانا" للطعام!..

وهنا رفع (أشعب) يده إلى أعلى، ولطم ابنه لطمة أقسى من الأولى وهو يقول له:

لماذا لم تخبرني بذاك قبل الآن...لقد ضيعت عليّ الكثير أيها التعس!...

أشعب والكندي البخيل

جاء العصر وأشعب يتسكع فى الأسواق إلى أن انتهى به المطاف أمام بستان من بساتين الكندى . فوقف وأرسل بصره ، فوجد صاحبه جالسا تحت شجرة على ماء جار وسط خضرة ، وقد بسط بين يديه منديلًا فيه لحم سكباج بارد وقطع جبن وزيتونات وصرة فيها ملح وأخرى فيها أربع بيضات . فاقترب منه ومر به مسلما عليه . فرد الكندى السلام قائلا :

ـــ هلم عافاك الله .

وإذا أشعب أسرع من خطف البرق فى صحن السماء قد انثنى راجعا يريد أن يعدى جدول الماء . فصاح به الكندى وهو يأكل :

ـــ مكانك .. فإن العجلة من عمل الشيطان ..

فوقف أشعب مأخوذاً .. فسأله الكندى :

ـــ تريد ماذا ؟

فأجاب أشعب :

ـــ أتريد أن أتغدى ..؟!

فحملق فيه الكندى قائلا :

ـــ ولم ذلك ؟ وكيف طمعت فى هذا ؟ ومن أباح لك مالى ؟

فقال أشعب :

ــ أوَلست قد دعوتنى ؟

فأجاب الكندى :

ــ ويلك ! لو ظننت أنك هكذا أحمق ما رددت عليك السلام . ماذا كان بيننا غير سلام ورد سلام ، أى كلام بكلام ، ولكنك تريد أن يكون كلام بفعال . وقول بأكل ، فهذا ليس من الإنصاف .

وازدرد الرجل بيضة مما بين يديه . وجعل أشعب ينظر إليه لحظة ثم قال له :

ــ لقد رأيتك تأكل وحدك .

فبلع الكندى ريقه ثم قال :

ــ ليس علىّ فى هذا الموضع مسألة . إنما المسألة على من أكل مع الجماعة ، لأن ذلك هو التكلف . وأكلى وحدى هو الأصل . وأكلى مع غيرى زيادة فى الأصل . وإذا كانت الوحدة خيرا من جليس السوء . فإن جليس السوء خير من أكيل السوء . لأن كل أكيل جليس . وليس كل جليس أكيلا !

فقال أشعب متخابثا :

ــ إنما أردت أن أؤاكلك لأسخيك وأنفى عنك اسم البخل ..

فأجاب الكندى وهو يلقى فى حلقه زيتونة :

ـــ لا أعدمنى الله هذا الاسم .. فإنه لا يقال فلان بخيل إلا وهو ذو مال ، فسلم إلى المال وادعنى بأى اسم شئت .

فقال أشعب :

ـــ ولا يقال أيضا فلان سخى إلا وهو ذو مال . فقد جمع هذا الاسم

الحمد والمال ، أما اسم البخل فقد جمع المال والذم . فأنت قد اخترت أخسهما وأوضعهما

فقال الكندى :

ـــ بينهما فرق ..

فقال أشعب :

ـــ ما هو ؟..

فأجاب الكندى :

ـــ فى قولهم بخيل تثبيت لإقامة المال فى ملكه . وفى قولهم سخى إخبار عن خروج المال من ملكه . فالبخل اسم فيه ذم ولكنّ فيه حفظاً ، والسخاء اسم فيه حمد ولكن فيه تضييعاً . والمال حقيقة ومنفعة وحيازته قوة ، أما الحمد فهو ريح وسخرية والاستماع له ضعف ! وماذا ينفع الحمد إذا جاع البطن وعرى الجلد وضاع العيال وشمت الحساد ؟!

وظل يأكل ، وأشعب ينظر إليه ، حانقا فى دخيلة نفسه على هذا اللؤم ، الذى لا تنفع فيه حيلة . غير أنه تلطف له ودنا منه قائلًا :

ـــ وما عليك لو جلست إليك ساعة أغنيك حتى تطرب وأضحكك حتى يزول عنك هذا القطوب .

فصاح الكندى :

ـــ لا أريد أن أطرب الساعة ولا أن أضحك .

ـــ وماذا يمنعك من ذلك ؟

ـــ يمنعنى منه أن الإنسان أقرب ما يكون من البذل والعطاء إذا طرب وضحك .

فأسقط فى يد أشعب ولم يدر من أى مدخل يدخل إلى هذا الرجل ، وهو كلما فتح له باباً أغلقه . ولم يقنط أشعب من ذلك . وخطر له خاطر أعجبه . فأسرع يقول لصاحبه :

ـــ لقد ظفرت لك بساكن جديد ، رضى أن ينزل دارك الخالية وقبل دفع الأجر وقضاء الحوائج والوفاء بالشرط ...

فأبرقت أسرة الرجل ووضع اللقمة من يده وقال :

ـــ وأين هو .. عافاك الله ؟

ـــ إذا رأيت أن أدعوه ...

ـــ متى ؟

ـــ الليلة إلى عشائك .

ـــ عشائى !

وعاد إلى قطوبه ، فأراد أشعب أن يهون عليه الخطب فقال له :

ـــ لا تتكلف شيئاً لهذا الضيف ، إنه يرضى بما حضر فأسرع الكندى يقول :

ـــ ليس يحضر شيء ، وقولك « بما حضر » معناه أنه لا بد من أن يقع على شيء .

فقال أشعب :

ـــ قطعة مالح ...

ـــ وقطعة مالح أليست هى شيئاً ؟

ـــ نكتفى بالشرب إذن على الريق .

ـــ لو كان عندنا نبيذ كنا فى عرس .

ـــ أنا أحضر النبيذ .

فقال الكندى على الفور :

ـــ إذا صرت إلى إحضار النبيذ فأحضر أيضاً ما يصلح للنبيذ ..

فقال أشعب :

ـــ ليس يمنعنى والله من ذلك ومن إحضار النقل والريحان إلا أن أحسب أنا صاحب الدعوة وليس يجوز ذلك ، إلا أن يكون لك فيها أثر .

ففكر الكندى لحظة ، ثم صاح كمن وجد الفرج :

ـــ لقد انفتح لى باب : لكم فيه صلاح وليس علىّ فيه فساد .

والتفت إلى نخلة عالية ملساء كأنها ثعبان قائمة فى طرف من أطراف البستان وقال :

ـــ فى هذه النخلة زوج يمام ولهما فرخان مدركان ، وإن نحن وجدنا إنساناً يصعدها ، ولم يطيرا ، فهما قد صارا ناهضين ، جعلنا الواحد « طباهجة » والآخر « كردجا » فكان نعم العشاء ، فهل لك يا أشعب فى صعود هذه النخلة ؟

فنظر أشعب إلى النخلة وقد كاد رأسها يمس السحاب ، وصاح :

ـــ هذه لا تصعد ولا يرتقى عليها إلا إذا كان اليوم عمرى ، وأردت من ذلك دك عنقى ، اللهم أغننى عنك وعن طعامك يا شيخ !

* * *

وأراد أن ينصرف يائسا ، ولكنه فكر فى أمر عشائه وليس فى المدينة الليلة وليمة ولا عرس ينسل إليه ، فعاد إلى النخلة ، فرأى مرة أخرى أن علوها الشاهق يملأ النفس رعبا ، وأدرك أن صعودها لا يقدم عليه إلا من طلب الموت ، فأخبر الكندى أن يعفيه وأن يطلب فى الجيران إنساناً يصعدها ، فسألوا الجيران فلم يقبل أحد أن يفعل ذلك ، ودلهم بعض الناس آخر الأمر على أكار تلك حرفته ، فما زال الرسول يطلبه حتى وقع

عليه ، فلما جاء ونظر إلى النخلة تردد هو أيضاً ، فما زالوا به يشجعونه ويغرونه حتى استخار الله وارتقى النخلة ، فلما صار فى أعلاها طار أحد الفرخين ، فأنزل الآخر وسلمه إلى الكندى ، ووقف يتصبب عرقا فى انتظار الأجر ، فأخرج الكندى « فلسا » وضعه فى يد الأكار فنظر إليه مليا ثم أراه للحاضرين من الجيران والمشاهدين ، فقالوا جميعا :

ـــ فلسا بعد هذا الجهد كله ، وهو غنى !.. لو كان أعطى درهما على الأقل ، إنه ذو مال !

فالتفت إليهم الكندى صائحا :

ـــ إننى لم أجمع هذا المال بعقولكم فأفرقه بعقولكم !

وأشاح بوجهه عنهم والتفت إلى أشعب قائلًا :

ـــ الآن قد ظفرنا بالعشاء ، فابعث لنا فى طلب صاحبك الساكن الجديد .

فنظر أشعب إليه شذرا :

ـــ فرخ يمام واحد ، هو « الطباهج » و« الكردناج » وهو كل العشاء ؟!

ففكر الكندى لحظة ثم قال :

ـــ انتظر ، لا تبرح .

وأشار إلى الأكار الواقف يتميز غيظا ، فترضاه وأغراه وذهب به ،

وغبرا مليا ، ثم عادا يحملان أرزاً بقشره ، وليس معهما شيء مما خلق الله إلا ذلك الأرز . فلما صار الكندى إلى بستانه كلف الأكار أن يجشه فى مجشة له ، ثم ذراه ، ثم غربله ، ثم جش الواش منه . إلى أن فرغ الأكار من ذلك كله فكلفه الكندى أن يطحنه على ثوره وفى رحاه ، حتى فرغ من طحنه . فكلفه أن يغلى له الماء وأن يحتطب له وأن يعجنه بالماء الحار لأنه به أكثر نزلًا ، ثم كلف الأكار أن يخبزه . ثم طلب إلى أشعب وبعض الحاضرين من صبية الجيران أن ينصبوا له فى الجدول الشصوص وأن يسكروا الدرياجة على صغار السمك لا تدخل السولقى ، وأن يدخلوا أيديهم فى حجرة الشلابى ، حتى يصيبوا من السمك شيئا يجعل كيابا على نار الخبز تحت الطابق فلا يحتاج من الحطب إلى كثير . ما زال أشعب منذ ذلك العصر إلى الليل فى كد وجوع وانتظار إلى أن أذن الله بالفرج وفرغ من أداء نصيبه من العمل ، وجاء الخبر من بيت الكندى أن اليمامة التى

كان قد بعث بها لتطبخ « طباهجا » قد نضجت ، فصاح الكندى فى صيحة الظافر :

ــ يا أشعب ! هلموا إلى عشائى ، وهنيئاً مريئاً لكم طعامى . فأحضر صاحبك إلى دارى تجدوا الخوان قد نصب كأنه إيوان كسرى وعرش هرقل !

* * *

جرى أشعب إلى صديق له من طرازه يدعى « بنان » فقص عليه الأمر وتوسل إليه أن يأتى معه إلى دار الكندى فيظهر له أنه الساكن المنتظر حتى يبرأ أشعب من وعده .. فإذا انتهى العشاء ، وعاين الصديق الدار

كان له أن يتعلل ويتمنع ويبدى الرفض ويطلب الفسخ ، ولم يكن عند « بنان » فى تلك الليلة ما يعتق به هو أيضًا . فما علم أن العشاء مضمون حتى خرج من داره الخالية لوقته مع أشعب .. وسارا فى الطريق فأوصاه أشعب أن يفهم الكندى أول الأمر أنه قابل الكراء وقضاء الحوائج والوفاء بالشرط .

فالتفت « بنان » إلى صاحبه قائلًا :

ـــ قد فهمت دفع الكراء وقضاء الحوائج فما معنى الوفاء بالشرط ؟

فأجاب أشعب :

ـــ فى شرطه على السكان أن يكون له روث الدابة ، وبعر الشاة ، ونشوار العلوفة ، وأن لا يخرجوا عظما ولا يخرجوا كساحة ، وأن يكون له نوى التمر وقشور الرمان ، وغرفة من كل طبخة لمن يزعم أنها حبلى فى بيته .

أقبل الضيفان على دار الكندى فألفياه قد أعد الخوان وجلس فى انتظارهما يتلمظ ويقول :

ومـــن البليـــــة فى الموائـــــد أن يرى
قوم جيـــاع فى انتظـــــار القــــــادم

فقعد أشعب على الفور أمام الطعام وأجلس زميله جواره وهو يقول :

سواء علينـــا أقدمــــــوا أم تأخـــــروا
نوافى مع الطبـــاخ ساعـــة يغـــــرف

وأشار إلى صاحبه « بنان » بعد أن غمزه بكوعه :

ـــ لقد انتظرت صاحبى هذا انتظار الآكل للشبع ! فقال الكندى .
ـــ انتظرته إذن قليلًا ؟
فأجاب بنان على الفوز :
ـــ نعم ، لقد انتظرنى مقدار ما يأكل إنسان رغيفاً !
وتناول الخبز . فقال الكندى : لقد انتظرك إذن طويلًا .
ولم يلتفت الضيفان إلى صاحب الدار ولم يجيباه بعد ذلك . وأشعب وبنان إذا تقابلا على خوان لم يكن لأحد معهما حظ فى الطيبات ، فما جاءت القصعة فيها الثريدة كهيئة الصومعة مكللة بتلك اليمامة المعهودة ، حتى أخذ أشعب الذى يستقبله ثم أخذ ما عن يمينه وأخذ ما بين يدى صاحب الدار ثم مال على جانبه الأيسر فصنع مثل ذلك ، وعارضه زميله بنان وحاكاه .

فلما أن نظر الكندى إلى الثريدة مكشوفة القاع مسلوبة عارية ، والفرخ كله بين يدى أشعب وزميله إلا قطعة جناح صغيرة بين يديه ، تناولها فوضعها أمام الضيف الجديد واحتسب بها فى سبيل الكرامة والبر والضيافة ، وهو يتميز ويقول ليخفى غيظه الكظيم :
ـــ قال الحكماء : « عليكم بشرب الماء على الغداء » فلو شرب الناس الماء على الطعام ما أتخموا . وذلك أن الرجل لا يعرف مقدار ما أكل حتى ينال من الماء ، وربما كان شبعان وهو لا يدرى ..
فقال بنان :
ـــ شبعان ! والله نحن إنما نسمع بالشبع سماعاً من أفواه الناس ! ثم مد يده إلى الخبز . فغمزه أشعب هامساً :

ـــ تمهل وتحشم ، حتى لا يفطن إلينا ويفر منا .. أنت لا تعرفه ، لأن يطعن طاعن فى الإسلام أهون عليه من أن يطعن فى الرغيف الثانى !

فسحب بنان يده ، وهو يهمس فى أذن أشعب :

ـــ أوَيريد أن يكون بين الرغيف والرغيف فترة نبى ؟

ولحظهما الكندى وظن أنهما يتساران فى أمر الخبز ويستصغران حجمه .. فأمسك برغيف ورطله فى يده وقال :

ـــ يقولون إن خبزى صغير ! فمن الزانى ابن الزانية الذى يستطيع أكل رغيفين منه !

فبهت بنان ، وأراد أن يفتح فاه ، وإذا بالباب قد فتح عليهم ودخل جار للكندى ، قرأ الجميع السلام وهم يأكلون فردوا عليه ، ولم يعرض الكندى عليه الطعام ، فاستحيا أشعب من الرجل وهو جاره فى السكن ، فما تمالك أن قال له :

ـــ سبحان الله ! لو دنوت فأصبت معنا مما نأكل. فتأدب الرجل وقال حياء :

ـــ قد والله فعلت .

فأسرع الكندى يقول :

ـــ ما بعد القسم بالله شيء .

فكتف الرجل بذلك كتفاً لا يستطيع معه قبضاً ولا بسطاً ، وتركه فى مكانه لا يريم . ولو مد الرجل يده بعد ذلك وأكل لشهد عليه بالكفر . ورأى الرجل دقة موقفه فتحرك منصرفاً خجلاً . فرق له أشعب وقال له :

ـــ أين تريد ؟

فقال الرجل :

ـــ إلى منزلى أتوضأ .

فقال له أشعب :

ـــ ولماذا لا تتوضأ ها هنا ؟ فإن الكنيف خال نظيف ، والغلام فارغ نشيط ، وليس من الكندى حشمة ، ومنزله منزل إخوانه .

فدخل الرجل فتوضأ . والكندى ينفخ من الغيظ .

ولحظه أشعب فقال له :

ـــ هون عليك . إنما كل بغيتى أن أسخيك وأنفى عنك التبخيل وسوء الظن .

فقال الكندى :

ـــ فهمنا أن تدعو الناس إلى غدائى لتسخينى ، ولكن لا أفهم أن تدعوهم ليخرءوا عندى .

وعاد الرجل فجلس عن كثب وأخرج من جيبه رقعة قدمها إلى الكندى قائلًا :

ـــ جاءتنى رقعتك اليوم وفيها أنك تزيد علىّ أجر الدار خمستين ، لأن ابن عمى ومعه ابن له قد نزلا علىّ ضيفين !

فأجاب الكندى على الفور :

ـــ نعم ، إذا كان مقام هذين القادمين ليلة أو ليلتين احتملنا ذلك ، وإن كان إطماع السكان فى الليلة الواحدة يجر علينا الطمع فى ليال كثيرة .

فقال الرجل :

ــ ليس مقامهما عندنا إلا شهراً أو نحوه .

فقال الكندى :

ــ إن دارك بثلاثين درهم وأنتم ستة ، أى لكل رأس خمسة ، فأما وقد زدتم رأسين فلا بد من زيادة خمستين . فالدار عليك من يومك هذا بأربعين .

فقال الساكن متعجباً :

ــ وما يضرك من مقامهما وثقل أبدانهما على أنا دونك . ما هو إذن عذرك لأعرفه ؟

فترك الكندى الأكل واتجه إلى ساكنه قائلًا :

ــ عذرى واضح كالنهار . والخصال التى تدعو إلى ذلك كثيرة . وهى قائمة معروفة : من ذلك سرعة امتلاء البالوعة وما فى تنقيتها من شدة المؤونة . ومن ذلك أن الأقدام إذا كثرت ، كثر المشى على ظهور السطوح ، والصعود على الدرج ، فينقشر الجص وينكسر العتب ، وإذا كثر الدخول والخروج والفتح والإغلاق وجذب الأقفال ، تهشمت الأبواب وتقلعت الرزات . فساكن الدار هو المتمتع بها والمنتفع بمرافقها وهو الذى يبلى جدتها ويذهب عمرها بسوء تدبيره ، وأنه ينسى أن المالك ما أسكن داره إلا بعد أن كسحها ونظفها لتحسن فى عين المستأجر ، فإذا خرج هو ترك فيها مزبلة وخراباً لا تصلحه إلا النفقة الموجعة ، ثم لا يدع بعد ذلك مترساً إلا سرقه ، ولا سلماً إلا حمله ، وإذا أراد الدق فى الهون ترك الصخرة المجعولة لذلك ودق على الأجذاع حيث جلس تهاوناً

وقسوة وغشاً . هذا فضلاً عما يحدثه من الشغب مع الجيران والتعرض لهم واصطياد طيورهم وتعريضنا لشكاياتهم . فإذا أردنا أن نجعل الغرم بالغنم ، وأن نطلب بعنسة دراهم لإصلاح الفساد المتظر سمعنا عبارات الاحتجاج وطولبنا بإبداء الأعذار والأسباب !

وسكت الكندى فجأة ، فقد حانت منه التفاتة إلى الضيفين ، فوجدهما قد انتهزا فرصة اشتغاله بالكلام وأمعنا هما فى محو أثر الخبز والسمك ، إلا « شبوطة » كان قد نجح فى وضعها بين يديه ، وكان قد أكبر أمرها لسمنها وكبرها ولشدة شهوته لها ، وكان قد ظن عند نفسه أنه قد خلا بها وتفرد بأطايبها ، فما كاد يحسر عن ذراعيه ويصمد لها حتى هجمت يد أشعب عليها ، فلما رأى هذه اليد فى السمكة رأى الموت الأحمر والطاعون الجارف وأيقن بالشر وعلم أنه قد ابتلى ، ولم يلبث أشعب حتى قبض على قفا الشبوطة فانتزع الجانبين جميعاً واكتسح ما على

الوجهين . فلما أكل أشعب جميع أطايبها وبقى الكندى فى النظارة ، ولم يبق فى يده مما كان يأمله فى تلك السمكة إلا الغيظ الشديد ، بينما هو يرى أشعب يفرى الفرى ويلتهم التهاما صاح به :

— حسبك حتى لا يقتلك الطعام !

فأجاب أشعب وفمه ممتلئ :

— إذا كان الأجل موقوتاً ، فلأن أموت شبعاً أحب إلىّ من أن أموت جوعاً !

وقنط الكندى من الأكل مع هذين الرجلين ، فانصرف إلى الحديث مع جاره الساكن واتفق معه على الزيادة فى الكراء كما طلب ، وشيعه إلى

(أشعب)

الباب ثم عاد إلى الضيفين فوجدهما قد قاما عن المائدة ولم يبق عليها شيء يؤكل . وبنان يتجشأ ويقول :

ـــ لعن الله « القدرية » .. من كان يستطيع أن يصرفني عن أكل هذا الطعام ، وقد كان فى اللوح المحفوظ أنى سآكله !

فكظم الكندى غيظه وقال فى نفسه :

ـــ تعال غداً فإن وجدت شيئا فالعن « القدرية » والعن آباءهم وأمهاتهم !

وجلس الضيفان بعد أن غسلا أيديهما يتخللان من الطعام ، وهما على خير ما يكون الإنسان راحة وهناء . وجعل الكندى ينظر إلى خوانه منتهك الحرمة ، عليه بقايا العظام والأشواك كأنها جثث القتلى بعد المعركة ، فساورته الهموم وتحركت فيه غريزة البخل ، وشعر بالكرب والغم . فما تمالك نفسه ، وأقبل عليهما يقول فى نبرة المتوسل :

ـــ أسألكما بالله الذى لا شيء أعظم منه ، أنا الساعة أيسر وأغنى ، أو قبل أن تأكلوا طعامى ؟

فقالا معاً :

ـــ ما نشك أنك حين كنت والطعام فى ملكك كنت أغنى وأيسر .

قال :

ـــ فأنا الساعة أقرب إلى الفقر أم تلك الساعة ؟

قالا :

ـــ بل أنت الساعة أقرب إلى الفقر .

فلم يحتمل الكارثة ، وصاح فى نبرة ألم وندم وغضب :

ـــ آه ! من ذا الذى يلومنى إذن على ترك دعوة قوم قربونى من الفقر وباعدونى من الغنى ، وكلما دعوتهم أكثر كنت من الفقر أقرب ؟!

فرأى أشعب الخطر والضرر كله فى ترك هذا الرجل على هذه العقيدة فأسرع يقول له :

ـــ ولكن قد فاتك أمر : إنك الليلة إنما تنفق اليسير لتجنى الكثير . ما هذا الطعام القليل النفقة الخفيف المؤونة إلى جانب ما سوف تتقاضاه من هذا الساكن الجديد كراء لدارك الخالية ؟ أما كنت تقول الساعة أن الغرم بالغنم ؟!... فأنت والله فى آخر الأمر الغانم الرابح !

فتفكر الكندى لحظة وبدا عليه الاقتناع ، فاطمأن فى الحال قلبه وانفرجت أساريره وضحك للمرة الأولى ضحكة الارتياح .. وقال :

ـــ إذن فادع لى !

فرفع أشعب يديه إلى السماء وقال :

ـــ من الله عليك بصحة الجسم وبسطة اليد وسعة الصدر وكثرة الأكل ونقاء المعدة ، وأمتعك بضرس طحون ومعدة هضوم ، مع السعة والدعة والأمن والعافية !.. هذه دعوة مغفول عنها !

جعل أشعب وبنان يدللان الكندى ويفكهانه ولم يشكا أنه سيدعو إليهما تلك الليلة بنبيذ فيملآن بيته إلى الفجر نزهة ونشوة ، ولكن الكندى جعل يتغافل ويتناوم . فلمح له أشعب بما يصبو إليه قائلاً :

ـــ إن المجلس والله .. ليس فيه غناء ولا نبيذ فهو كالبيت الخرب !

فلم يسمع لكلامه صدى . وطال تغافل الكندى فلم يجد أشعب بدا من التصريح . فأقبل عليه يقول :

ـــ اجعلها مرة ليس لها أخت .. ودعوة لن تعود إلى مثلها .. واضحك واطرب ليلة فى العمر بقليل من نبيذ !

ولما بلغ منه ومنهما المجهود ورأى الكندى أنهما مقيمان مصران ، غير منصرفين قبل أن يظفرا منه بما طمعا فيه ، قام فأحضر لهما قربة نبيذ مع أكواب ووضعهما بين يدى أشعب وقال له :

ـــ الآن غن واطربنى والأمر الله !

فانقض أشعب وبنان على الكؤوس . وشرب بنان شرب العطشان الصادى . وأفرغ أشعب كأسه فى جوفه وهو يرفع عقيرته منشداً :

امــدح الكــأس ومــن أبدعهــا
واهــج قومــاً قتلونــا بالعــطش
إنمــا الكــأس ربيــع باكــر
فــاذا مــا لم نذقهــا لم نعــش

فطرب الكندى للصوت ولكنه قال كالمخاطب نفسه :

ـــ والله ما قتلوكم بالعطش . ولكنكم أنتم قتلتم أنفسكم بالشره .

وملأ كأسه وقال : غن أيها المغنى !

فملأ أشعب كأسه وصاح بصوته الجميل :

لا تحفلــن بقــول اللائــم اللاحــى
واشــرب على الورد من مشمولة الراح
كـأســا إذا انحدرت فى حلــق شاربها
أغناك لألاؤهــا عن كـل مصبــاح

فصاح الكندى من الطرب صيحة مدوية دهت الضيفين . وأفرغ فى

حلقه كأسا أخرى وهو يقول :

اسقنـــى حتـــى تـــــرانى مـــائــــلاً
وتـــرى عمـــران دينـــــى قد خرب

وسكر الكندى . وأمعن أشعب فى الغناء :

ما زلت آخذ روح الــدن من لطــف
وأستبيـــــح دمــــاً من غير مجروح
حتى انثنيت ولى روحـــان فى جسدى
والـــــدن ، مُطَّــرحٌ جسم بلا روح

فطرب الكندى ولم يدر ما يصنع من شدة الطرب ، فشق قميصه وقال لأشعب :

ــ افعل بنفسك مثل ما فعلت بنفسى ..

فنظر إليه أشعب دهشاً .. فصاح الكندى :

ــ ويلك ، شق أيضاً أنت قميصك !

فقال أشعب جزعاً :

ــ أصلحك الله ! أتريد أن أشقه وليس لى غيره !

فقال الكندى : « شقه وأنا أكسوك غداً » .

فأجاب أشعب : « فأنا إذن أشقه غداً » .

فقال الكندى : « وأنا ماذا أصنع بشقك غداً ؟ » .

فقال أشعب : « وأنا ماذا أرجو من شقه الساعة ؟ »

ولبثا فى ذلك وقتا يتساومان ، وبنان ينظر إليهما ويعجب وأخيرا صاح فى الكندى :

ـــ ما كل هذا ؟ إنى لم أسمع قط بإنسان يحاور ويناظر فى الوقت الذى إنما يشق فيه القميص من غلبة الطرب ! إذا كنت طربت الآن حقا ، فاكسه الآن القميص !

وهزت الكندى نشوة الخمر ونخزة الوهم ، فى غفلة من غريزته النائمة فقام يتعثر إلى قميص جديد عنده فأتى به وكساه أشعب . فلما صار القميص على أشعب ، خاف البدوات ، وعلم أن ذلك من هفوات السكر ، فتحين الفرص ، وأوهم الكندى أنه ذاهب لقضاء حاجة ثم مضى تواً إلى منزله بالقميص فجعله « برشكانا » لامرأته ..

ومضى من الليل أكثره وركب النوم الكندى وبنان ، وهما ما برحا فى انتظار عودة المطرب . فانطرح بنان على الأرض جاعلا فراشه البساط ومرفقته يده ، ولم يكن فى المكان غير مرفقة ومخدة . فأراد الكندى إكرام ضيفه فأخذ المخدة فرمى بها إلى بنان فأباها وردها عليه .

وأبى الكندى ، وأبى هو . ولبثا هكذا يتطارحان التأدب ويتقارضان المجاملة فى لسان متلعثم وجذع متمايل . إلى أن صاح صاحب البيت آخر الأمر :

ـــ سبحان الله ! كيف يكون أن تتوسد مرفقك وعندى فضل مخدة ؟!

فأذعن بنان وأخذها فوضعها تحت خده . ومر بعض الليل دون أن يغرق بنان فى النوم ليبس الفراش ورداءة الموضع . وظن الكندى أن الضيف قد نام . فجاء قليلًا قليلًا حتى سل المخدة من تحت رأسه . فلما رآه بنان قد مضى بها ضحك وقال : قد كنت عن هذا غنيا !

فارتبك الكندى وقال : « إنما جئت لأسوى رأسك » .

فأجاب بنان : « إنى لم أكلمك حتى وليت بالمخدة » .

فأجاب الكندى : « كنت لهذا جئت ، فلما صارت المخدة فى يدى ، نسيت ما جئت له ، والنبيذ ما علمت والله يذهب بالحفظ أجمع ! » .

وأراد الكندى أن يرد عليه المخدة . فأبى بنان ، فألح وألح . وعادت المناظرة والمحاورة والمطارحة من جديد . فلم يخلصهما منها إلا غلبة النوم الثقيل فى الهزيع الأخير من الليل . فانطرحا كأنهما حجران والمخدة عن كثب منهما منطرحة منفردة وحيدة .

وطلع النهار وأحس بنان ضرب الشمس فى وجهه فنهض ونظر حوله مذعوراً ، فأدرك ما كان فيه . ورأى الكندى ممدداً يغط على مقربة منه فأسرع إلى نعله فحمله فى يديه وانطلق إلى الطريق قبل أن يستيقظ .

وعلا النهار .. وأقبل أهل البيت ينقرون على باب الحجرة فصحا الكندى . وفرك عينيه وألقى نظرة على المكان فهم منها كل شىء ، فبحث عن الضيفين فلم يجدهما ، فصاح صيحة منكرة ووضع نعله فى قدميه وانطلق إلى مسكن أشعب فدق عليه الباب ، فخرج له فقال له :

ـــ أين الساكن ؟

ـــ لقد تركته بين يديك فأنت الذى تسأل عنه .

ـــ وأين القميص ؟

ـــ إنك قد وهبتنى إياه ..

فقال الكندى مقاطعا فى رفق مصطنع :

ـــ أما علمت أن هبة السكران وشراءه وبيعه وصدقته وطلاقه لا يجوز ؟ فإني أكره ألا يكون لي حمد ولا شكر ، وأن يوجه الناس هذا مني على السكر فرد عليّ القميص حتى أهبه لك سماحياً عن طيب نفس . فإني لا أحب أن يذهب شيء من مالي باطلًا .

فلم يتحرك أشعب لهذا القول . وعلم الكندى أن مغنيه ونديمه ومستأجره لا تنطلي عليه هذه الحجج . فأقبل عليه يقول متلطفاً :

ـــ يا أشعب ، إن الناس يمزحون ويلعبون ولا يؤاخذون بشيء فرد القميص عافاك الله !

فقال أشعب مبتسماً : « إني والله قد خفت هذا بعينه . فلم أضع جنبي إلى الأرض حتى جئت به لامرأتي . وقد زدت في الكمين وحذفت المقاديم ، فإن أردت بعد هذا كله أن تأخذه فخذه » .

فقال الكندى على الفور :

ـــ نعم آخذه ، لأنه يصلح لامرأتي كما يصلح لامرأتك ومد ذراعه .

فقال أشعب : « إنه عند الصباغ » .

فقال الكندى : « هاته » .

ـــ ليس أنا أسلمته إليه .

فعلم الكندى أنه قد وقع ، ولا حيلة له ولا منفذ ولا أمل ولا رجاء ، فقال في زفرة حارة من كبد محروقة :

ـــ بأبي وأمي ، صدق رسول الله حيث يقول : « جمع الشر كله في بيت وأغلق عليه ، فكان مفتاحه : السكر ! » .

أشعب والحلاق

أسرع أشعب فدخل المنزل وأوصى الغلام أن يأتيه بحلاق ، وأن يحذر هذه المرة ، فلا يحضره فضولياً ولا ثرثاراً . فحسبه ما ذهب من الوقت فى غير شيء ، سوى ما رآه من شجار وما لحقه من سباب !

فانصرف وعاد برجل ، دخل فسلم وما هو إلا أن دارت يده على وجه أشعب حتى قال له :

ـــ جعلت فداك ، هذا وجه لا أعرفه ، فمن أنت ؟

فقال أشعب :

ـــ اسمى أشعب .

فقال الحلاق :

ـــ بأبى أنت وأمى ، هذا الاسم لا يجهله أحد فى المدينة ! ومن أين قدمت ؟ فإنى أرى أثر السفر عليك ؟

فقال أشعب :

ـــ من مكة ..

فقال الحلاق :

ـــ حياك الله ، من أرض النعمة والرفاهة ، وبلد رسول الله الكريم . لقد حضرت فى شهر رمضان جامعها وقد أشعلت فيه المصابيح وأقيمت

التراويح ..

وجعل يقص قصة طويلة لا آخر لها ولا معنى وأشعب يصبر نفسه .

وفرغ الحلاق من القصة فعاد يسأل :

ــ وأى شىء أقدمك ؟ أصلحك الله !

فأجاب أشعب :

ــ أقدمنى الزمن وتقلباته ، ولكن إذا فرغت سأخبرك بالأمور على وجهها .

فقال :

ــ وتعرفنى بالمنازل والسكك التى جئت عليها .

فقال أشعب :

ــ نعم .

وكان الخادم واقفاً على مقربة منهما . فنظر إليه أشعب نظرة قاسية . فدنا منه الغلام وهمس فى أذنه معتذراً :

ــ لن أجد حلاقاً يسكت حتى يفرغ !

ومالت الشمس إلى الغروب . ولم يفرغ الحلاق من الكلام ، ولم يفرغ مما جاء له ، وأخيرا قال :

ــ لو كانت الاستطاعة قبل الفعل لكنت قد حلقت رأسك . فهل ترى أن نبتدئ ؟

فأسرع أشعب قائلا :

ــ وماذا كنت تصنع فيما مضى من الوقت ؟

ونهض فوثب بعيدا . وما أن استوثق أنه أفلت من يد الحلاق ومواسيه ، حتى صاح فى الخادم :

ـــ علق هذا الحلاق من العقبين .

فهجم عليه الخادم بسواعده القوية وعلقه كما أمر . فقال له أشعب :

ـــ جعلت فداك ، سألتنى عن المنازل والسكك التى قدمت عليها ، وأنا مشغول فى ذلك الوقت ، وظننت أنك مشغول بعملك ، فأنا أقصها عليك الآن ، فاستمع : خرجنا من مكة فى المساء فنزلنا بئرا ذات نخيل فى ظهرة الغد . يا غلام ، أوجع !

فضربه العبد عشرة أسواط . فقال أشعب :

ـــ وركبنا عند المساء فنزلنا عين ماء حولها عشب عند طلوع النهار . يا غلام ، أوجع !

فضربه الخادم عشرة أخرى . وقال أشعب :

ـــ ثم ركبنا ضحى اليوم وسرنا إلى نجع وقد أشرفنا على الأصيل . يا غلام ، أوجع !

فضربه العبد عشرة ثالثة . وقال أشعب :

ـــ وبعدئذ ركبنا وسرنا حتى وجدنا ...

فصاح الحلاق مقاطعاً :

ـــ يا سيدى ، سألتك بالله إلى أين تريد أن تبلغ ؟

فقال أشعب :

ـــ إلى المدينة .

ـ لست تبلغها حتى تقتلنى .

فقال أشعب :

ـ أتركك على ألا تعود ؟

فصاح الحلاق :

ـ والله لا أعود أبدا .

فتركه . وكان المساء قد أقبل . وحضر بنان والكندى .. وأبصرا الخادم يحل وثاق الحلاق ، فسألا فأخبرهما أشعب الخبر .

فقال الكندى :

ـ وددت أنك بلغت به إلى أن تأتى على نفسه !

حيلة شيطانية

لبث أشعب وبنان على هذه الحال أياما ينفقان مما عندهما على طيب الطعام وجيد الشراب ، إلى أن أوشك ما جمعاه أن ينضب ، ولحا شبح الفاقة والجوع يقترب ، فحدثتهما النفس أن يصنعا ههنا ما صنعاه فى عرفات ، ولكن على نسق آخر ، خوفا من سوء العاقبة . فبعث أشعب إلى الجارية « رشا » فحضرت وأعد هو وبنان منزلا فى زقاق العطارين يشرف على السوق . وأوصيا الجارية أن تخطر بقدها المائس أمام المسجد إذا اجتمع الناس لصلاة العصر . فمضت وعلى وجهها خمار أسود تزهر من تحته عيناها كأنهما النجوم فما كادت تسير خطوات حتى سمعت خلفها من يهمس فى أذنها :

قل للمليحة فى الخمار الأسود :
ماذا فعلت بزاهد متعبد ؟
قد كان شمر للصلاة ثيابه
حتى خطرت له بباب المسجد
ردى عليه صلاته وصيامه
لا تقتليه ، بحق دين محمد !

فالتفتت ، فرأت رجلا ليس من أهل البلد نظيف الهيئة ، وقور الطلعة

يحد إليها النظر . فقالت له :

ــ اتبعنى ..

فقال لها : « إن شريطتى الحلال » .

فقالت له :

ــ قبحك الله ، ومن يريدك على حرام ؟

فخجل الرجل . وغلبته نفسه على رأيه فتبعها . ومشيا حتى دخلا الزقاق وبلغا المنزل . وصعدت الجارية درجة وقالت للرجل :

ــ اصعد ..

فصعد .. فقالت له :

ــ إن لى وجها أحسن من العافية ، مع صوت كصوت « ابن سريج » وترنم « معبد » وتيه « ابن عائشة » أجمع لك هذا كله فى بدن واحد بأشقر سليم .

فقال لها :

ــ وما أشقر سليم ؟

فقالت :

ــ بدينار واحد ، يومك . وليلتك . فإذا أقمت جعلت الدينار صداقا وتزويجا صحيحا .

فقال الرجل :

لك ذلك إذا جمع لى ما ذكرت .

فأجلسته فى صدر الدار وخلعت خمارها . ورأى الرجل جمالها ،

فذهب عقله . وقامت الجارية فقال لها :

ــ إلى أين جعلت فداك !

ــ ألبس وأتهيأ ..

فصاح الرجل :

ــ بالله لا تمسى غمرا ولا طيبا ، فحسبك بدلالك وعطرك ..

فابتسمت له ابتسامة أجهزت عليه ، وذهبت ، وجاء الغلام ، فحيا الرجل أجمل تحية ، وأسر له فى أذنه :

ــ أأخبرتك شريطتها ؟

فقال الرجل :

ــ لا والله .. ما شريطتها ؟

فقال الخادم :

ــ لعلها نسيت تخبرك . هى والله أفتك من « عمرو بن معد يكرب » وأشجع من « ربيعة بن مكدم » ولست بواصل إليها حتى تسكر وتغلب على عقلها ، فإذا بلغت ذلك الحال ففيها مطمع .

فقال الرجل :

ــ ما أهون ذلك وأسهله !

فأردف الخادم :

ــ ثم شيء آخر ..

ــ ما هو ؟..

ــ اعلم أنك لن تصل إليها حتى تتجرد لها وتراك مجردا مقبلا مدبرا .

فقال الرجل :

ــ وهذا أيضا أفعله .

وتركه الغلام ومضى . وأقبلت الجارية تموج ظرفاً وتميس لطفاً فقالت :

ــ هلم دينارك !

فأخرج الرجل دينارا نبذه إليها فصفقت فأجابها العبد . فقالت له :

ــ قل لأبى الحسن وأبى الحسين هلما الساعة .

ومضى قليل . فإذا شيخان خاضبان نبيلان ، هما أشعب وبنان ، قد أقبلا فصعدا . فقصت الجارية عليهما القصة . وغمزت لهما بعينها غمزة خفيفة لم يلحظها الرجل فقام أحدهما فخطب وأجاب الآخر . ودعيا الرجل فأقر بالتزويج وأقرت الجارية . ودعا الشاهدان بالبركة ، ثم نهضا

وخرجا واستحيى الرجل أن يحمل المرأة شيئا من المؤونة فأخرج ديناراً آخر دفعه إليها وقال :

ــ اجعلى هذا لطيبك ..

فقالت له :

ــ يا أخى . لست ممن يمس طيبا لرجل ، إنما اتطيب لنفس إذا خلوت .

فقال لها :

ــ فاجعليه إذن لعشائنا الليلة .

قالت :

ـــ أما هذا فنعم ..

ونهضت فأمرت بإصلاح ما يحتاج إليه . ثم عادت قبل المساء ، فدعت بالخوان والنبيذ . فتعشيا وشربا . وأمسكت بالعود واندفعت تغنى :

راحـــوا يصيـــدون الظبـــاء وإننـــى
لأرى تصيدهـــــا على حرامـــــا
أعـــــزز على بـــــأن أروع شبهـــــا
أو أن تـــــذوق على يـــــدى حمامـــــا

فكاد الرجل يجن سرورا وطربا . وقال لها :

ـــ جعلت فداك ، من يغنى هذا ؟

قالت :

ـــ اشترك فيه جماعة ، هو لمعبد ، وتغنى به ابن سريج وابن عائشة .

وجعل الرجل يحتال لتدنو منه فتأبى عليه ، ثم غنت بصوت لم يفهمه للشقاء الذى كتب عليه :

كأنى بالمجـــــرد قـــــد علتـــــه
نعـــال القـــوم أو خشـــب الســـوارى

فقال لها :

ـــ جعلت فداك ، ما أفهم هذا البيت ، ولا أحسبه مما يتغنى به !

قالت :

ـــ أنا أول من تغنى به .

فقال :

ـــ إنما هو بيت عابر لا ثان له ؟

قالت :

ـــ معه آخر ليس هذا وقته . هو آخر ما أتغنى به .

فسكت الرجل ، وجعل لا ينازعها فى شيء إجلالا لها ، إلى أن أذنت العشاء ، فوضعت عودها . فقام فصلى العشاء ، وما يدرى كم صلى عجلة وشوقا .

وفرغ من صلاته فأقبل عليها يقول :

ـــ تأذنين جعلت فداك فى الدنو منك !

فقالت :

ـــ تجرد !

وأشارت إلى ثيابها كأنها تريد أن تتجرد ، فكاد الرجل يشق ثيابه عجلة للخروج منها . فتجرد ، وقام بين يديها ، فقالت له :

ـــ امض إلى زاوية البيت ، وأقبل وأدبر ، حتى أراك مقبلا ومدبرا !

وإذا فى زاوية البيت حصير فى الغرفة على الطريق فخطر الرجل عليه . وإذا تحته خرق إلى السوق . وإذا الرجل يجد نفسه فى السوق مجردا عاريا كما ولدته أمه وإذا الشيخان الشاهدان « أشعب وبنان » قد أعدا نعالهما على قفاه ، واستعانا بأهل السوق . فما أبقوا فيه عظما صحيحا . وبينما الرجل يضرب بنعال مخصوفة ولَّيد مشدودة ، إذا صوت تغنى به الجارية من فوق البيت :

ولـــو علـــــم المجرد مـــــا أردنــــا
لحاربنـــا المجـــــــرد بالصحـــــــارى

فقال الرجل فى نفسه :

ـــ هذا والله وقت هذا البيت .

أمعن أشعب وبنان فى هذا السبيل بمثل هذه الأساليب ، حتى ضجت الناس وعمت الشكوى . وبلغ الأمر والى المدينة وكان شديد الورع ، صارم الخلق ، عبوس الوجه . فأرسل فى طلب هذين المفسدين ، وأمر بهما للفور فجردا من ثيابهما وضربا ثلاثين سوطاً . وأمر بأموالهما الحرام فضمت إلى بيت المال .

وتحمل أشعب وبنان الضرب . ولكنهما لم يتحملا كارثة ذهاب المال . فصاح أشعب يستأذن على الوالى فأذن له . فبكى بين يديه وتباكى وقال :

ـــ أصلحك الله ! أنجرد من ثيابنا ومن مالنا فى يوم واحد ؟

فقال له الوالى :

ـــ يا عدو الله ! لقد كنتما تجردان الناس من هذا وذاك فى ليلة واحدة .

ورأى أشعب ألا حيلة له مع هذا الوالى إلا أن يضحكه ، فلعله إن ضحك عفا . فجعل يقص عليه طريف النوادر والوالى فى إطراقه وتقطيبه وعبوسه لا يعبر وجهه خيال ابتسامة . وسكت أشعب قانطاً .

فرفع الوالى رأسه وقال له :

ـــ لو أنك حفظت الحديث حفظك هذه النوادر لكان أولى بك .

فقال أشعب : « قد فعلت » .

فقال له الوالى : « أسمعنى ما حفظت من الحديث » .

فتنحنح أشعب ثم قال :

ـــ حدثنى نافع ، عن ابن عمر ، عن النبى ﷺ قال :

من كان فيه خصلتان كتب عند الله خالصا مخلصا .

فقال له الوالى :

ـــ هذا حديث حسن ، فما هاتان الخصلتان ؟

فحار أشعب وتفكر لحظة ثم قال :

ـــ نسى نافع واحدة .

فقال الوالى : « والأخرى ؟ » .

فقال أشعب :

ـــ والأخرى ... نسيتها أنا .

فلم يجب الوالى ... ولم يزد على أن أمر بأشعب فضرب ثلاثين أخرى ...

* * *

من نوادر الطفيليين

مرَّ طُفَيْليّ بقوم يأكلون فقال لهم: ما تأكلون؟؟ -

فقالوا: نأكل سمًّا! فأجاب الطفيليّ: لا خير في الحياة

بعدكم!! وقام يأكل معهم .

...

وحضر طفيلي مجلس قوم يأكلون ،فجلس يأكل معهم بغير استئذان،

!!فقالوا له: هل تعرف منا أحدًا

قال: نعم

قالوا: من هو؟ قال: هذا!! وأشار إلى الخبز

...

قيل لطفيلي : إشترِ لنا لحما - فقال : لا أحسن الشراء

فقيل له : أوقد النار , فقال : أنا أخاف النار .

فقيل له : اطبخ , فقال : لا أحسن الطبخ

فلما جهز الطعام , قيل له : تقدم فكُل , فقال : أكره أن أكثر مخالفتكم

أبو سلمة الطفيلي ورثاء صاحبه له

كان بالبصرة طفيليٌّ يكنى أبا سلمة، وكان إذا بلغه خبر وليمة لبس لبس القضاة، وأخذ ابنيه معه وعليهما القلانس الطوال، والطيالسة الرقاق، فيقدم ابنيه، فيدق الباب افتح يا غلام لأبي سلمة. ثم لا يلبث البواب حتى يتقدم لآخر، فيقول: :أحدهما ويقول افح ويلك فقد جاء أبو سلمة. ويتلوهم، فيدقون جميعاً الباب، ويقولون: بادر ويلك، فإن أبا سلمى واقف. فإن لم يكن عرفهم فتح لهم، وهاب منظرهم، وإن كانت معرفته إياهم قد سبقت لم يلتف إليهم، ومع كل واحد منهم فهرٌ مدور يسمونه كيسان، فينتظرون حتى يجيء بعض من دعي، فيفتح له الباب، فإذا فتح طرحوا الفهر في العتبة حيث يدور الباب، فلا يقدر البواب على غلقه، ويهجمون عليه فيدخلون. فأكل أبو سلمة يوماً على بعض الموائد لقمةً حارة من فالوذج، وبلعها لشدة حرارتها، :فجمعت أحشاؤه فمات على المائدة، فقال عبد الصمد بن المعذل يرثيه

أحزان نفسي عليها غير منصرمة ... وأدمعي من جفوني الدهر منسجمه

على صديقٍ ومولًى لي فجعت به ... ما إن له في جميع الصالحين لمه

كم جفنةٍ مثل جوف الحوض مترعةٍ ... كوماء جاء بها طباخها رذمه

قد كلَّلَتْها شحومٌ من قليتها ... ومن سنام جزورٍ عبطةٍ سنمه

غُيِّبت عنها فلم تَعرف له خبراً ... لهفي عليك وويلي يا أبا سلمه

ولو تكون لها حياً لما بَعُدت ... يوماً عليك ولو في جاحمٍ حطمه

قد كنت أعلم أن الأكل يقتله ... لكنني كنت أخشى ذاك من تخمه

إذا تعمم في شبليه ثم غدا ... فإن حوزة من يأتيه مصطلمه

نوادر، وطرف ،و حكايا الأعراب

وقال الجاحظ المعروف بتتبعه لطرائف البشر على اختلاف طبقاتهم وألوانهم ومشاربهم عن الأعراب: إنّه ليس في الأرض كلامٌ هو أمتَعُ ولا آنَق، ولا ألذُّ في الأسماع، ولا أشدُّ اتصالاً بالعقول السليمة، ولا أفتَقُ للّسان، ولا أجودُ تقويماً للبيان، من طول استماعِ حديثِ الأعراب العقلاء الفصحاء، والعلماءِ البلغاء).

ــ واشترط الجاحظ أن يروى كلام الأعراب كما هو، فلا يغير أو يحور عن أصله مهما كان فيه من وعورة وغرابة، يقول: ومتى سمعتَ – حفِظك اللّه – بنادرةٍ من كلام الأعراب، فإيّاك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارجِ ألفاظها؛ فإنَّك إنْ غيَّرتَها بأن تلحَنَ في إعرابها وأخرجْتَها مخارجَ كلام المولّدين والبلديِّين، خرجْتَ من تلك الحكايةِ وعليك فضلٌ كبير).

وقد كانت سليقة الأعراب اللغوية هي منهجهم الطبيعي المتأصل في تمييز صحيح الكلام من فاسده؛ وجيده من رديئه، وقد حكى الأصمعي قصة تؤيد ما نذهب إليه فقال:

كنت أقرأ السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله غفور رحيم، وبجنبي أعرابي، فقال: كلام من هذا؟ فقلت كلام الله قال: أعد. فأعدت، فقال: ليس هذا كلام الله!! فانتبهت فقرأت: "والله عزيز حكيم". المائدة 38 . فقال أصبت، هذا كلام الله !! فقلت: أتقرأ القرآن؟ قال: لا. فقلت: فمن أين علمت؟ فقال: يا هذا؛ عز فحكم فقطع، فلو غفر ورحم لما قطع !!.

ومن طرائف الأعراب التي تدل على صراحتهم الفطرية أن أحدهم سمع قارئاً يقرأ القرآن حتى أتى على قوله تعالى: "الأعراب أشد كفراً ونفاقاً". "التوبة: 97"، فقال: لقد هجانا. ثم بعد ذلك سمعه يقرأ: "ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر". "التوبة: 99". فقال: لا بأس، هجا ومدح.

....

أوقد أعرابيّ ناراً يتّقي بها برد الصحراء في الليالي القارسة ، ولما جلس يتدفّأ ردّد مرتاحاً : اللهم لاتحرمنيها لا في الدنيا ولا في الآخرة.

....

تزوّج أعرابيّ على كبر سنه ، فعوتب على مصير أولاده القادمين ، فقال : أبادرهم باليتم قبل أن يبادروني بالعقوق.

...

ألحَّ سائلٌ على أعرابيّ أن يعطيه حاجةً لوجه الله ، فقال الأعرابيّ : والله ليس عندي ما أعطيه للغير .. فالذي عندي أنا أولى الناس به وأحقّ ! فقال السائل : أين الذين كانوا يؤثرون الفقير على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ؟ فقال الأعرابيّ : ذهبوا مع

الذين لا يسألون الناس إلحافا .

....

قيل لأعرابيّ كان يتعشق قينة : ما يضرك لو اشتريتها ببعض ما تنفق عليها ؟ قال : فمن لي إذ ذاك بلذة الخلسة ، ولقاء المسارقة ، وانتظار الموعد.

....

وقف أعرابيّ على أبي الأسود الدؤلي وهو يتغدى فسلم فرد عليه ثم أقبل على الأكل ، ولم يعزم عليه . فقال له الأعرابيّ : أما اني قد مررت بأهلك . قال كذلك كان طريقك . قال وإمرأتك حبلى . قال كذلك كان عهدي بها . قال قد ولدت . قال كان لا بد لها أن تلد . قال ولدت غلامين . قال كذلك كانت أمها . قال مات أحدهما . قال ما كانت تقوى على إرضاع أثنين . قال ثم مات الآخر . قال ما كان ليبقى بعد موت أخيه . قال وماتت الأُم : قال حزناً على ولديها . قال ما أطيب طعامك . قال لأجل ذلك أكلته وحدي والله لا ذقته يا أعرابيّ !

من طرائف أعراب العرب

الموت فرحا

قيل لأعرابي : أتحب أن تموت امرأتك ؟

قال : لا

قيل : ولم ؟

قال : أخاف أن أموت من الفرح..

أسماء الأقفال

التقى أعرابي بقوم فسألهم عن أسمائهم فقال الأول:

اسمي وثيق'

وقال الثاني : اسمي ' ثابت'

وقال الثالث : اسمي ' شديد'

وقال الرابع : اسمي ' منيع'

فقال الأعرابي:

ما أظن الأقفال صنعت إلا من أسمائكم

بوس يد زوجتك!!..

واحد يقول لمن حوله أوصيكم خيرا بزوجاتكم ولنتفق أن

يقبل كل منا يد زوجته عندما يعود للمنزل!!..

قال احدهم : ولكن انا لم اتزوج!!..

قال له : إذا قبل يدك وجه وظهر...

ارفق بنفسك

قال : ' الحجاج ' لأعرابي كان يأكل بسرعة على مائدته:

ارفق بنفسك

فقال له الأعرابي:

وأنت ... اخفض من بصرك

إيش ذنب الذين معك ؟

صلى أعرابي مع قوم فقرأ الإمام:

قل ارأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا ..فقال الأعرابي:

أهلكك الله وحدك إيش ذنب الذين معك ؟ فقطع القوم الصلاة من شدة الضحك.

!

ليتها كانت القاضية.....

عاد أحد الأعراب نحويا فسأل عما يشكو . فقال النحوي : حمى جاسية نارها حاميه منها الأعضاء واهية والعظام بالية.

فقال الأعرابي : لا شفاك الله بعافية يا ليتها كانت القاضية..

خرق وترقيع....

قيل لأعرابي : كيف أنت في دينك ؟ قال : أخرقه بالمعاصي

وأرقعه بالاستغفار

الشمس وضحاها

وعن الأصمعي أنه قال: مررت بأعرابي يصلّي بالناس فصلّيت معه، فقرأ (والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها كلمة منتهاها لن يدخل النار ولن يراها رجل نهى النفس عن هواها)، فقلت له: ليس هذا من كتاب الله، قال: فعلّمني، فعلّمته الفاتحة والإخلاص، ثم مررت بعد أيام، فإذا هو يقرأ الفاتحة وحدها، فقلت له: ما للسورة الأخرى؟ قال: وهبتها آبن عم لي، والكريم لا يرجع في هبته.

وعنه أنه قال: كنت في البادية، فإذا بأعرابي تقدَّم فقال: الله أكبر (سبِّح اسم ربك الأعلى، الذي أخرج المرعى، أخرج منها تيساً أحوى[1] ينزو على المعزى)، ثم قام في الثانية فقال: (وثب الذئب على الشاة الوسطى وسوف يأخذها تارة أخرى. أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ألاَ بَلى ألاَ بَلى). فلما فرغ قال: اللهم لك عفرت جبيني وإليك مددت يميني فانظر ماذا تعطيني.

وعنه قال: رأيت أعرابياً يضرب أمه فقلت: يا هذا أتضرب أمك؟ فقال: **أسكت فإني أريد أن تنشأ على أدبي.**

وعن أبي الزناد[٢] قال: جاء أعرابي إلى المدينة فجالس أهل الفقه ثم تركهم، ثم جالس أصحاب النحو فسمعهم يقولون نكِرة ومعرفة، فقال: يا أعداء الله يا زنادقة.

وعن العلاء بن سعيد قال: قعد طائي وطائية في الشمس، فقالت له امرأته: والله لئن ترحل الحي غداً لأتبعن قماشهم وأصوافهم ثم لأنفشنه ولأغسلنه ولأغزلنه، ثم لأبعثنه إلى بعض الأمصار فيباع وأشتري بثمنه بكراً[٣]، فأرتحل عليه مع الحي إذا ترحلوا. قال الزوج: أفتراك الآن تاركتي وابني بالعراء؟ قالت: أي والله، قال: كلا والله.

وما زال الكلام بينهما حتى قام يضربها، فأقبلت أمها فقالت: ما شأنكم، وصرخت: يا آل فلانة أفتضرب ابنتي على يديها ورزق رزقها الله، فاجتمع الحي فقالوا: ما شأنكم؟ فأخبروهم بالخبر!! فقالوا: ويلكم، القوم لم يرحلوا وقد تعجلتم الخصومة.

وعن الأصمعي قال: خرج قوم من قريش إلى أرضهم وخرج معهم رجل من بني غفار، فأصابهم ريح عاصف يئسوا معها من الحياة ثم سلموا، فأعتق كل رجل منهم مملوكاً، فقال ذلك الأعرابي: اللهم لا مملوك لي أعتقه ولكن امرأتي طالق لوجهك ثلاثاً.

وكان الرجل من الأعراب يعمل في معمل للذهب فلم يصب شيئاً، فأنشأ يقول:

يا ربّ قدّر في حَمَاسي وفي طِلاَبِ الرِّزْقِ بالتماسِ
صَفْراء تَجْلُو كَسَلَ النُّعَاسِ

فضربته عقرب صفراء سهرته طول الليلة وجعل يقول: يا رب، الذنب لي إذ لم أبين لك ما أريده، اللهم لك الحمد والشكر، فقيل له: ما تصنع؟ أما سمعت قول الله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأزِيدَنكم﴾[1]: فوثب جزعاً وقال: لا شكراً، لا شكراً،

وسُئل أعرابي: هل تقرأ من القرآن شيئاً؟ فقرأ أم الكتاب والإخلاص فأجاد: فسُئل: هل تقرأ غيرهما؟ فقال: أما شيئاً أرضاه لك فلا.

قال الأصمعي: ورأيت أعرابياً يصلي في الشتاء قاعداً ويقول:

إليكَ اعتذاري من صلاتي قاعداً ... على غير طُهْرٍ مومياً نحو قِبْلَتي
فمالي بِبَرْدِ الماء يا ربِّ طاقة ... ورجلاي لا تقوى على طيِّ ركبتي

ولكنني أقضيته يا رب جاهداً ... وأقضيكَهُ إن عشت في وجه صيفتي
وإن أنا لم أفعلْ فأنت محكم ... إلَهي في صَفْعي وفي نَتفِ لِحْيَتي

وعض ثعلب أعرابياً فأتى راقياً[١]، فقال الراقي: واخلط بها شيئاً من رقية الثعالب.

وعض ثعلب أعرابياً فأتى راقياً، فقال الراقي: ما عضك؟ فقال كلب، واستحى أن يقول ثعلب، فلما ابتدأ بالرقية، قال: واخلط بها شيئاً من رقية ثعلب.

وقال بعض الأعراب: لنا تمر تضع التمرة في فيك فتبلغ حلاوتها إلى كعبك.

وقرأ إمام في صلاته: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ﴾[٢] فارتج عليه[٣]، وكان خلفه أعرابي فقال: لم يذهب فأرسل غيره وأرحنا.

وكان أعرابي يقول: اللهم اغفر لي وحدي، فقيل له: لو عممت بدعائك فإن الله واسع المغفرة، فقال: أكره أن أثقل على ربي.

ودعا أعرابي بمكة لأمّه فقيل له: ما بال أبيك؟ قال: ذاك رجل يحتال لنفسه.

وقيل: إن محمداً[٤] بن علي (عليه السلام) رأى في الطواف أعرابياً عليه ثياب رثة وهو شاخص نحو الكعبة لا يصنع شيئاً، ثم دنا من الأستار فتعلّق بها ورفع

رأسه إلى السماء وأنشأ يقول:

أمَا تَستحي منّي وقد قُمت شاخصاً ... أناجيك يا ربّي وأنت عَليمٌ
فإن تكسني يا رب خفّاً وفَرْوَةً ... أصلّي صلاتي دائماً وأصومُ
وإن تكن الأخرى على حالِ ما أرى ... فَمَن ذا على تركِ الصّلاة يلومْ
أتـرزقُ أولاد العُلُوج وقد طَغَوْا ... وتترك شيخاً والداء تميمُ

فدعا به وخلع[١] عليه فروة وعمامة وأعطاه عشرة آلاف درهم وحمله على فرس، فلما كان العام الثاني جاء الحج وعليه كسوة جميلة وحال مستقيم، فقال له أعرابي: رأيتك في العام الماضي بأسوأ حال وأراك الآن ذا بزة حسنة وجمال، فقال: إني عاتبت كريماً فأغنيت.

وكان لبعض المغفلين حمار فمرض الحمار، فنذر إن عوفي حماره صام عشرة أيام فعوفي الحمار فصام، فلما تمت مات الحمار، فقال: يا رب تلهيت بي! ولكن رمضان إلى هنا يجيء والله لآخذن من نقاوته عشرة أيام لا أصومها.

وصلّى بعض الأعراب خلف بعض الأئمة في الصف الأول، وكان اسم الأعرابي (مجرماً)، فقرأ الإمام: والمرسلات... إلى قوله: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾[٢]، فتأخر البدوي إلى الصف الآخر، فقال: ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾[٣]، فرجع إلى الصف الأوسط، فقال: ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾[٤]، فولى هارباً وهو يقول: ما أرى المطلوب غيري.

وصلى أعرابي خلف إمام صلاة الغداة، فقرأ الإمام سورة البقرة وكان الأعرابي مستعجلاً ففاته مقصوده، فلما كان من الغد بكر إلى المسجد فابتدأ الإمام

بسورة الفيل فقطع الأعرابي الصلاة وولى وهو يقول: أمس قرأت (البقرة) فلم تفرغ إلى نصف النهار، واليوم تقرأ (الفيل) ما أظنك تفرغ منها إلى نصف الليل.

وكان أعرابي يصلي، فأخذ قوم يمدحونه ويصفونه بالصلاح، فقطع صلاته وقال: مع هذا إني صائم!

وتذاكر قوم قيام الليل وعندهم أعرابي، فقالوا له: أتقوم بالليل؟ قال: أي والله، فقالوا: فما تصنع؟ قال: أبول وأرجع أنام.

وقال إسحاق الموصلي: تذاكر قوم من نزار واليمن وأصنام الجاهلية، فقال رجل لهم من الأزد، عندي الحجر الذي كان قومنا يعبدونه، قالوا وما ترجو به؟ قال: لا أدري ما يكون.

وروى أبو عمر الزاهد أن بعض الأعراب قال: اللهم أمتني ميتة أبي! قالوا: وكيف مات أبوك؟ قال: أكل بذجاً وشرب مشعلاً ونام في الشمس فلقي الله وهو شبعان ريان دفئان. (البذج: الحمل. والمشعل: الزق).

في ذِكْـر المغفلين من المتحـذلقـين فيمن قصـد الفصـاحـة والإعراب في كلامه من المغفلين

عن أبـي زيد الأنصاري[١]، قال: كنت ببغداد فأردت الانحدار إلى البصـرة، فقلت لابن أخي: إكترِ[٢] لنا، فجعل ينادي: يا معشر الملاحون[٣]، فقلت: ويحك ما تقول جعلت فداك؟ فقال: أنا مولع بالنصب.

عن أبـي طاهر، قال: دخل أبوصفوان[٤] الحمام وفيه رجل مع ابنه، فأراد أن يعرف خالداً ما عنده من البيان، فقـال: يا بني، ابـدأ بيداك ورجـلاك[٥]، ثم التفت

إلى خـالد، فقـال: يـا أبـا صفـوان هـذا كـلام قـد ذهب أهله، فقـال: هـذا كـلام لم يخلق الله له أهلاً قط.

وعن أبـي العينـاء، عن العطوي[٦] الشـاعر، أنـه دخل إلى رجـل من عنـدنـا بالبصرة وهو يجودُ بنفسه، فقال له: يا فـلان، قل: (لا إلَـه إلاّ الله) وإن شئت فقل: (لا إلَه إلاّ الله) والأولى أحب إلى سيبويه، ثم اتبع أبو العيناء ذاك بـأن قال: سمعتم ابن الفاعلة يعرض أقوال النحويين على رجل يموت.

وعن عبد الله بن صالح العجلي، قال: أخبرني أبو زيـد النحوي، قـال: قال رجل للحسن: ما تقول في رجل تـرك أبيه وأخيـه؟ فقال الحسن: تـرك أباه وأخـاه، فقال الرجل: فما لأباه وأخاه؟ فقال الحسن: فما لأبيه وأخيه، فقال الرجل للحسن: أراني كلما كلمتك خالفتني.

وعن ابن أخي شعيب بن حرب[٣]، قال: سمعت ابن أخي وهو يعزي قوماً: آجركم الله وإن شئتم أجركم الله، كلاهما سماعي من الفراء[٤].

وعن سلمة[١]، قال: كان عند المهدي مؤدب الرشيد فدعاه يوماً المهدي وهو يستاك[٢]، فقال: كيف تأمر من السواك؟ قال: إسْتك يا أمير المؤمنين، فقال المهدي: إنا لله، ثم قال: التمسوا من هو أفهم من هذا، قالوا: رجل يقال له علي بن حمزة الكسائي[٣] من أهل الكوفة قدم من البادية قريباً، فلما قدم على الرشيد، قال له: يا علي، قال: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: كيف تأمر السواك؟ قال: سكْ يا أمير المؤمنين، قال: أحسنت وأصبت، وأمر له بعشرة آلاف درهم.

وقد روينا عن الوليد، أنه قال لرجل: ما شأنك؟ فقال الرجل: شيخ نايفي، فقال عمر بن عبد العزيز: إن أمير المؤمنين يقول لك: ما شأنك؟ فقال: ختني ظلمني، فقال الوليد: ومن ختنك؟ فنكس الأعرابي رأسه وقال: ما سؤال أمير المؤمنين عن هذا؟ فقال عمر: إنما أراد أمير المؤمنين من ختنك؟ فقال: هذا، وأشار إلى رجل معه.

وعن أبي معمر، عن أبيه، قال: كان أمير على الكوفة من بني هاشم، وكان لحاناً[٤]، فاشترى دوراً من جيرانه ليزيدها في داره، فاجتمع إليه جيرانه، فقالوا: أصلحك الله، هذا الشتاء قد هجم علينا، فأمهلنا إن رأيت حتى يقبل الصيف ونتحول، قال: لسنا (بخارجيكم)، يريد (بمخرجيكم).

وعن ميمون بن هارون[1]، قال: قال رجل لصديق له: ما فعل فلان بحماره؟ قال: (بَاعِهِ)، قال: قل: (بَاعَهُ)، قال: فلِمَ قلت بحماره؟ قال: الباء تجر، قال: فمن جعل باءك تجر وبائي ترفع.

وعن سعيد بن أحمد، قال: دعاني محمد بن أحمد بن الخطيب يوماً، فأقمنا عنده، فقال لابن له صغير: يا عبد الله اخدم عماك، فقال: أخدم عمي، قالوا: يقول لك اخدم عمك وتلحن؟ فقلت له: جعلت فداك، أنت أعلم الناس بالنحو، فمن أفسد بيان هذا الصبي؟ قال: من قبل أمه.

وعن أبي عبد الله بن فتن، قال: دعاني إنسان من جيراننا، فوجه إلى البقال: وجه إلي جزراً بدانقان[2]، فقلت: سبحان الله ما هذا؟ قال: أردت أن يهابني.

وقدم على ابن علقمة النحوي ابن أخ، فقال له: ما فعل أبوك؟ قال: مات، قال: وما فعلت علته؟ قال: ورِّمت قدميه، قال: قل: قدماه، قال: فارتفع الورم إلى ركبتاه، قال: قل: ركبتيه، فقال: دعني يا عم، فما موت أبي بأشد عليَّ من نحوك هذا.

ووقف نحوي على رجل فقال: كم لي من هذا الباذنجان بقيراط؟ فقال: خمسين، فقال النحوي: قل: خمسون، ثم قال لي: أكثر، فقال: ستين، قال: قل: ستون، ثم قال لي: أكثر، فقال: إنما تدور على مئون وليس لكَ مئون.

ولقي رجلاً من أهل الأدب، وأراد أن يسأله عن أخيه، وخاف أن يلحن، فقال: أخاك أخوك أخيك ها هنا؟ فقال الرجل: لا، لو، لي، ما هو حضر.

وسمعت شيخنا أبا بكر محمد بن عبد الباقي البزار[1] يقول: قال رجل لرجل: قد عرفت النحو، إلاّ أني لا أعرف هذا الذي يقولون: أبو فلان وأبا فلان وأبي فلان، فقال له: هذا أسهل الأشياء في النحو، إنما يقولون أبا فلان لمن عظم قدره، وأبو فلان للمتوسطين، وأبي فلان للرذلة.

وعن الأصمعي، عن عيسى بن عمر[2]، قال: كان عندنا رجل لحان، فلقي رجلاً مثله، فقال: من أين جئت؟ فقال: من عند (أهلونا)، فتعجب منه وحسده، وقال: أنا أعلم من أين أخذتها: أخذتها من قوله تعالى: ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾[3].

وعن أبي القاسم الحسن، قال: كتب بعض الناس: كتبت من (طيس)، يريد (طوس)[4]، فقيل له في ذلك، فقال: لأن (من) تخفض ما بعدها، فقيل:

إنما تخفض حرفاً واحداً لا بلداً له خمسمائة قرية.

قال أبو الفضل بن المهدي: قال لي أبو محمد الأزدي[1]: واظب على العلم فإنه يزين الرجال، كنت يوماً في حلقة أبي سعيد ـ يعني السيرافي[2] ـ فجاء ابن عبد الملك خطيب جامع المنصور وعليه السواد والطويلة والسيف والمنطقة، فقام الناس إليه وأجلّوه، فلما جلس قال: لقد عرفت قطعة من هذا العلم وأريد أن أستزيد منه، فأيهما خير سيبويه أو الفصيح؟ فضحك الشيخ ومن في حلقته ثم قال: يا سيدنا (محبرة) اسم أو فعل أو حرف؟ فسكت ثم قال: حرف، فلما قام لم يقم له أحد.

في من تكلم بالنحو مع العوام

وقد تكلَّم قوم من النحويين بالأعراب مع العوام، فكان ذلك من جنس التغفيل وإن صواباً لأنه لا ينبغي أن يكلم كل قوم إلاّ بما يفهمون.

قال ابن عقيل[٣]: كان شيخنا أبو القاسم بن برهان الأسدي[٤] يقول

لأصحابه: إياكم والنحو بين العامة، فإنه كاللحن بين الخاصة.

قال ابن عقيل: وتعليل هذا أن التحقيق بين المحرفين ضائع، وتضييع العلم لا يحل، وهذا روي (حدثوا الناس بما يعقلون أتحبون أن يكذب على الله ورسوله)، وقد قال رسول الله ﷺ: «يا أبا عمير، ما فعل النغير»، ولعب مع الحسن والحسين، وإنما نسب المعلمون للحماقة لمعاملتهم الصبيان بالتحقيق.

قال الأصمعي: كان يحيى بن معمر[١] قاضياً بخراسان، فتقدَّم إليه رجل وامرأته، فقال يحيى للرجل: رأيت إن سألتك حق شكرها، وشبرك إن شاءت تطلها وتضهلها، قال: يقول الرجل لامرأته: والله ما أدري ما يقول قومي حتى تنصرف. (الشكر: الفرج. والشبر: النكاح. وتطلها: تبطل حقها. وتضهلها: تعطيها حقها قليلاً قليلاً).

وكذلك قال عيسى بن عمر ليوسف بن عمر وهو يضربه بالسياط: «والله إن

كانت إلاّ ثياباً في اسيفاط قبضها عشاروك». قال ابن قتيبة: ومثل هذا يستقبح، والأدب غض فكيف اليوم؟

وقع نحوي في كنيف[1]، فصاح به الكناس: أنت في الحياة، قال: ابغ لي سلماً وثيقاً وامسكه إمساكاً رفيقاً ولا بأس عليّ، فقال له: لو كنت تركت الفضول يوماً لتركته الساعة، وأنت في الخرا إلى الحلق.

وقف نحوي على صاحب بطيخ، فقال: بكم تلك وذانك الفاردة؟ فنظر يميناً وشمالاً ثم قال: اعذرني فما عندي شيء يصلح للصفع.

وقف نحوي على زجاج، فقال: بكم هاتان القنيتان اللتان فيهما نكتتان خضراوتان؟ فقال الزجاج: ﴿مُدْهَامَّتَانِ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾[2].

وعن أبي زيد النحوي، قال: وقفت وعنده بطون، فقلت: بكم البطنان؟ فقال: بدرهمان يا ثقيلان.

وعن أحمد بن محمد الجوهري، قال: سمعت أبا زيد النحوي، قال: وقفت على قصاب وقد أخرج بطنين سمينين فعلّقهما، فقلت: بكم البطنان؟ فقال: بمصفعان يا مضرتان. ففررت لئلا يسمع الناس فيضحكون.

قال: حدثنا أبو حمزة المؤدب، قال: حدثنا أحمد بن محمد القزويني ــ وكان شاعراً ــ أنه دخل سوق النخاسين بالكوفة فقعد إلى نخاس فقال: يا نخاس، اطلب لي حماراً لا بالصغير المحتقر ولا بالكبير المشتهر، إن أقللت علفه صبر، وإن أكثرت علفه شكر، لا يدخل تحت البواري ولا يزاحم بي السواري، إذا خلا في الطريق تدفق، وإذا أكثر الزحام ترفق، فقال له النخاس بعد أن نظر إليه ساعة: دعني، إذا مسخ الله القاضي حماراً اشتريته لك.

حدثنا بعض أصحابنا، قال: قلت لبقال: عندك بسر فرساً؟ قال: عندي قرعة.

وعن إسحاق بن محمد الكوفي، قال: جاء أبو علقمة إلى عمر الطبيب فقال: أكلت دعلجاً[1]، فأصابني في بطني سجح[2]، فقال: خُذ غلوص وخلوص، فقال أبو علقمة: وما هذا؟ قال: وما الذي قلت أنت؟ كلمني بما أفهم، قال: أكلت زبداً في سكرجة[3]، فأصابني نفخ في بطني، فقال: خذ صعتراً.

ودخل أبو علقمة النحوي على أعين الطبيب، فقال: أمتع الله بك، إني أكلت من لحوم هذه الجوازم فطست[4] طسأة، فأصابني وجع في الوالبة إلى ذات العنق، فلم يزل يربو وينمو حتى خالط الحلب والشراشيف، فهل عندك دواء؟ قال: نعم، خذ حرقفاً وسلقفاً فزهزقة وزقزقة واغسله بماء روث واشربه، فقال أبو علقمة: لم أفهم عنك هذا، فقال: أفهمتك كما أفهمتني.

قال: حدثنا أبو عثمان، عن أبي حمزة المؤدب، قال: دخل أبو علقمة النحوي سوق الجرارين بالكوفة، فوقف على جرار، فقال: أجد عندك جرة لا فقداء ولا دباء ولا مطربلة الجوانب، ولتكن نجوية خضراء نضراء قد خف محملها، وأتعبت صانعها قد مستها النار بألستها، إن نقرتها طنّت وإن أصابتها الريح رنّت؟ فرفع الجرار رأسه إليه ثم قال له: النطس بكور الجروان أحر وجكي، والدقس باني والطبر لري شك لك بك، ثم صاح الجرار: يا غلام، شرج ثم درب والى الوالي

فقرب، يا أيها الناس، من بلي بمثل ما نحن فيه؟ وأنشد لثعلب[1]:

إنْ شِئْتَ أنْ تُصْبِحَ بينَ الوَرى ... ما بَيْنَ شَتَّامٍ ومُغْتَابِ
فكُنْ عَبُوساً حينَ تلقَاهُم ... وكلِّم النَّاس بإعرابِ

جسّـــاس

٤٦٨ ◄ بدوي. أخبرنا أبو علي الحسن بن عمران الحنظلي بهراة قال: أخبرنا سليمان بن العباس بن علي الهاشمي ببغداد قال: أخبرنا أبو نصر ابن أخي الأصمعي قال: سمعت عمي يقول: دخلتُ بعض أحياء العرب فرأيت شيخاً موسوساً يهذي وقد اجتمع عليه الناس، فقلت: من هذا؟ قالوا: جسّاس الموسوس لا يزال نائماً ليلَه ونهارَه، وربما انتبه فزعاً مذعوراً فيُجلِبُ ساعة ويصيح ثم يهيم على وجهه ثم يعود إلى نومه. فبِتُّ ليلةً هناك وهو على الحال التي وُصفَتْ لي، فلما أصبح[1] انتبه فقلت: ما اسمك يا شيخ؟ أنت أَنْوَمُ من فهد[2]، ما لك تنام دهرك؟ فقال: النوم لا تَبِعَةَ عليّ فيه، وفي مجالستك وأضرابك تَبِعَات. قلت: وأيُّ تَبِعَةٍ عليك في مجالستي؟ قال: أشتغل بك عمن أنشأني. ثم أنشأ يقول:

لقد أُغْنِيتَ عن هذا السؤال وعما أنت فيه من المقال
فإن كنتَ الغداةَ تريد قولاً فما فيه رضى مولى الموالي

ثم عدا هائماً على وجهه في تلك الرمال وهو يقول: ما أكثر فُضولَ أهل الحَضَر.

أَرِقْ

٤٦٩ ـ بدوي. أخبرنا أبو حاتم محمد بن حبان البُسْتي قال: حدثنا محمد بن إبراهيم الخالدي قال: حدّثنا الحسن بن محمد الأزدي قال: حدثنا محمد بن أبي السريّ عن المدائني قال: كان عندي بمكة مجنون يقال له أرق، بدوي، وكان يصلّي الليل كلّه، فإذا أحسّ بالصبح رمى بطَرْفه نحو السماء وأنشأ يقول:

رب مكحول بمُلْمول[1] الأرق قلبه وَقْفٌ بنيران الحُرَق
فِكْرُه في الله في أوقاته وبه يَفتح فاه إن نطقْ
سيّدي طال اشتياقي فمتى يَأْنِ للعاشق يلقى من عَشِقْ

* * *

[آخر]

٤٧٠ ـ أخبرنا أبو العباس الفضل بن سهل بن نفيس السجزي بهراة قال: حدثنا علي بن محمد بن أيوب المروزي أن محمد بن عبدالله بن إسحاق بن شِمْر الضبّي حدّثه قال: سمعت الأصمعي يقول: بينا أنا قاعد عند محمد بن سليمان الهاشمي والي البصرة[1] دخل عليه رجل فقال: أصلح الله الأمير إنّ بالمربد أعرابياً مجنوناً من بني سعد لا يتكلم إلا بشعر. فقال: عليّ به. فأتاه فقال: أجب الأمير. فأبى عليه فأجبره وساقه وناقته سوقاً عنيفاً حتى أدخله. فلما نظر الأعرابي إلى محمد أنشأ يقول:

حـيــاك ربُّ الـنــاس مــن أميــر يــا فـاضــلَ الـدين عـظيمَ الخِيْرِ

فقال الأمير: وأنت فحياك الله يا أخا سعد. فقال الأعرابي:

إنـي أتــاني الـفـاسـقُ الـجِلْوازُ[٢] والـقـلبُ قـد طـار بـه اهـتــزاز

فقال الأمير: إنّا بعثنا إليك لنشتري ناقتك. فقال الأعرابي:

مــا قـال شيئــاً في شـراء الـنـاقـهْ وقـد أتـى بـجـهـله حـمـاقـه

فقال الأمير: وما الذي قال؟ فقال:

[قـد] شَقَّ سِرْبـالي وشَقَّ بُـرْدي[١] وكــان زَيْني فـي المَــلا ومـجــدي

فقال الأمير: إذاً نخلع عليك ونُعْمَةُ عَيْنٍ[٢]. فقال الأعرابي:

نــعّــمــك الله وأرخــى بــالــكــا وأكــثــر الله لــنــا أمــثــالــكــا

فقال الأمير: أتبيع ناقتك هذه؟ فقال:

نـعم أبيــع بعــد أن لا أُوْكَسُ[٣] والبيــع في بعض الـزّمـان أكيس

فقال الأمير: فبكم اشتريتها؟ فقال:

شــراؤهـا عـشــر بـبـطن مـكّــه من الـدنـانيـر القيـام السِّكّـه[٤]

فقال الأمير: أتبيع بما اشتريتَ؟ فقال:

ولــن أبــيــعَ الــدهــرَ أو أُزادُ[٥] إنّـي لــربــحٍ في الشّــرا معتــادُ

فقال الأمير: فبكم آخُذُها؟ فقال:

خُــذْهــا بـعشــرٍ وبـخمسٍ وازنــه فــإنــهــا نــاقــة صــدقٍ مــارِنَــه[٦]

فقال الأمير: بل تَحُطُّ وتُحسن. فقال:

سبحـان ربـي ذي الجـلال العــالي تــســأل إحـســانـي وأنـت الــوالـي

فقال الأمير: فإني أسألك أن تَحطّ. فقال:

والله مــا يَـجْـبُــرنــي مــا تُـعــطي ولا يَــزيــد الـفـقـرَ مـنـي حَــطّي

قال: فأمر بقبض الناقة منه وتوفير ثمنها، ثم ردّها وأمر له بألف دينار وثياب من خاصة ملبسه. فقال الأعرابي:

إنّـي رَمَتْ بـي نـحــوك الـفِـجـاجُ أبــو ثــمــان مــعــدِمٌ مــحــتــاجُ
طــاوي الحصيــر[١] ضيّق المعيش فــأنــبــتَ الله لــديــك ريــشــي
شــرَّفْتَني منــكَ بــألــفِ حــاضــرهْ شــرَّفـك الله بــهــا فــي الآخــره
وكــســوةٍ طــاهــرةٍ حِــســان كــســاك ربّي حُــلَل الــجِــنــان

قال: فضحك الأمير وقال: من يزعم أن هذا مجنون؟ وددتُ أني كنتُ مثله!.

آخـــر(١)

٤٧١ - أخبرنا أبو القاسم منصور بن العباس ببوشنج قال: حدثنا محمد بن عبدالرحمن الشامي الهروي قال: حدّثنا العباس بن علي الهاشمي قال: كنت والى مكة فجلستُ ذات يوم في المسجد وعندي جماعة كلهم لي مُعظِم، فإذا بأعرابي مجنون طرأ علينا فقال: أيكم الأمير فأشاروا إليّ فقال:

يـا من تـرفّـع بـالإمـارة طـاغيـاً   خَـفِّضْ عـليـك فـللأمـور زوالُ
فلئن أفـادك ذا الـزمـانُ بصَـرْفـهِ   لَـبِـصَـرْفـه تـتـقـلّبُ الأحـوالُ

* * *

آخــر(١)

٤٧٢ - سمعت أبا الحسن عيسى بن زيد بن عيسى الفرضي المديني النّسابة يقول: سمعتُ بِشر بن موسى الأسدي يقول(٢): سمعت الأصمعي يقول: بينا أنا ذات يومٍ عند والي الكوفة وهو يسألني عن أهل البصرة وأنا أحدّثه، إذ قيل: أعرابي مجنون بالباب يتكلم بالشعر. قال: أدخِلوه. فأُدخل، فإذا رجلٌ كأنه نخلةٌ سَموق شَثْن الأطراف(٣) موسوس، فسلّم على الأمير فردّ عليه فقال له الأمير: أبو مَن؟ فقال الأعرابي:

أبـو السّـرنـدى شـاعـرٌ سجّـاعـه   من سـال عني فـأنـا التلقـاعـه(٤)

فقال الوالي: ما أمدَحَكَ لنفسك! فقال:

لأنــنــي أرتــجــلُ ارتــجــالا مــا شئتُ يــا مَنْ أُلْبِسَ الجَمــالا

فقال الأصمعي: فقال لي الأمير: ما هذا بمجنون فَأَلْقِ عليه شيئاً مما عندك. فقلت: ما الرَّيْم[٥]؟ فقال:

الـرَّيْـم فـضـل الـلحـم لـلجـزّار يَـنْـحَـرُه لـلفـتـيـة الأيـســار

فقلت: مال الحُلْوان[١]؟ فقال:

أليس مــا يُعطى عـلى الكـهـانـة والـحـرّ لا يـقـنـع بـالـمـهـانـه

فقلت: ما الدُّكاع؟ فقال:

إن الـدُّكـاع[٢] هُـوْ سعـال المـاشيه والـلّـهُ لا تخـفى عـليـه خـافيـه

فقلت: ما التُّوَلَة[٣]؟ فقال:

عَــوْذَةُ عُنْق الـطفــل عنـدي تُـوَلـه وقــد تُـسمّى العنكبــوت تُــوَلــه

فقلت: فما الرّفه[٤]؟ فقال:

الــرُّفَــهُ التّبـن فَسَــلْ مــا شِيْتـا لقــد وجـدتَ عــالِمــاً خِــرّيتــا[٥]

قال الأصمعي: فاستحييتُ من كثرة ما سألتُ. فقال لي:

قــل ليَ مــا الهِلَّقْسُ والشـحشـاح والـجـمــل الـرازح لا يُــراح

قلت: الهِلَّقْسُ[٦]: الطَّمِع الحريص، والشحشاح: الذي لا يستقر في موضع، والرّازح: المهزول. فقال:

مــا أنــت إلا حــافظٌ لــلعــلم أحسنتَ، مــا قلتَ بـغـيــر وهــم

قال: فقال الوالي: حبذا كلّ مجنون مثل هذا. ثم أمر له بعشرة آلاف درهم. فلما قُدّم إليه المال قال:

أكُلُّ ما هو لي بمرّه ... تمّ سروري واعتَرَتْني شِرَّه[1]

ثم أقبل على الأمير فقال:

رِشْتَ[2] جناحي يا أخا قريش ... أقْرَرْتَ عيني وأطَبْتَ عَيْشي

ثم ضجّ إلى[3] الريح فقال:

يا ريحُ أدِّي خَبَري إليهمُ ... ثُمّتَ[4] قُصّي قصتي عليهمُ

وخرج.

امرؤ القيس

٤٧٣ـ بدوي. سمعت أبا الحسن محمد بن محمد بن مسعود النّسوي بها يقول: سمعت أبا بكر محمد بن داود الأصبهاني يقول: بلغني أن فتى من الأعراب كان يقال له امرؤ القيس هَوِيَ فتاة من الحي، فلما وقفت على أنّه يحبّها[1] هَجَرَتْه، فزال عنه عقله وخُولط وأشفى على التلف[2] وصار رحمة للناس. فلما بلغ المرأةَ حالُه وما هو فيه أتتْ فأخذتْ بعضادَتَي الباب فقالت: كيف تَجِدُك يا امرأ القيس؟ فقال:

دَنَتْ وظِلالُ الموت بيني وبينها ... وأدلَتْ بوصلٍ حين لا ينفعُ الوصلُ

ثم لم يلبث [إلّا][3] يسيراً حتى مات.

* * *

عقلاء المجانين

مجنون بني عامر

١٦٧- وهو من جملة من يُذكر من المجانين أشهر، وحديثه أوضح وأسير[١]. ولقد بلغ من شهرته أن جنونه غلب على اسمه حتى أنه إن سمّي أو عُزي إلى أبيه لم يثبت بل يقال: قال المجنون كذا، وفعل مجنون بني[٢] عامر كذا، وما أشبه ذلك، حتى عابه كثير من الشعراء بالبوح ومدحوا أنفسهم بالكتمان. وأنشدنا علي سهل[٣] بن شهقور السجزي:

ما كان مجنون على حاله إلا وقد كنت كما كانا
ولي عليه الفضل من أجل أن باح وأني ذبت كتمانا

وأنشدني غيره[٤]:

باح مجنون عامرٍ بهواهُ وكتمتُ الهوى فمُتُّ[٥] بوجدي
فإذا كان في القيامة نُودي مَن قتيل الهوى[٦]؟ تقدّمتُ وحدي

الاختلاف في اسمه:

١٦٨ ـ أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: أخبرنا إبراهيم بن إسماعيل بن عبدالله الراوية البصري قال: أخبرنا معاذ بن سهل الأزدي عن أبيه عن الأثرم عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال: هو مهدي بن الملوّح بن مزاحم بن قيس بن عدي بن ربيعة بن جَعْدة بن كعب.

وقال أبو العباس محمد بن يزيد بن عبدالأكبر: هو قيس بن معاذ.

بدء شأنه:

١٦٩ ـ أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن جعفر بن محمد بن هارون بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الموسوي[١] قال: سمعت علي بن عمران القمّي يقول: حدثنا أبو بكر القارىء[٢] قال: حدثنا نصير قال: سئل مجنون بني عامر: كيف كان سبب عشقك

لليلى؟ قال: بينا أنا في عنفوان غرّتي وريعان جِدّتي أسحب ذيل اللعب، وأرمي / الكواعب من كثب، وأصبو إليهنّ فيفترقن وأهزّ أرباقهنّ[٣] فلا ينتصفن، إذ اعتلقتني[٤] حبائل فتاة من بني عذرة فذهلني[٥] حبها وتيّمني عشقها، وأنشد[٦]:

ولم أر ليلى غير موقف ساعة ... بخيف[٧] منى ترمي جمار المحصّبِ
ويُبدي الحصى منها إذا حذفتْ به ... من البُرد أطراف البنان المخضّبِ[٨]

ألا إنما غادرتِ يا أمّ مالك ... صدًى أينما هبّتْ[١] به الريح يَذهبِ
وأصبحتُ من ليلى الغداةَ كناظرٍ ... من الصبح في أعجاز نجمٍ مغرّبِ

١٧٠= أخبرنا[٢] محمد قال: أخبرنا الحسن قال: سمعت أبا علي السبيعي[٣] بمرو يقول: قيل لليلى: حبّك للمجنون أكثر من[٤] حبّه لك؟. فقالت: بل حبّي له. قيل: وكيف؟ قالت: لأن حبّه لي كان مشهوراً وحبّي له كان مستوراً.

١٧١= أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: سمعت أبا الفضل نُهَيك بن محمد بن نهيك إمام الجامع بهراة يقول: سمعت أبا يزيد حاتم بن محمود[٥] الشامي يقول: سمعت العتبي[٦] يقول: ذكر ابن الكلبي أن المجنون في أول ما كَلِفَ بليلى / قعد عندها يوماً يتحدث، فرآها تُعرض عنه وتُقْبل على غيره، فشقّ ذلك عليه وعرفتْ ليلى ذلك في نفسه فأقبلتْ عليه وقالت:

كلانا مظهرٌ للناس بُغضاً[٧] وكلٌّ عند صاحبه مكين

فخرّ مغشياً عليه ثم تمادى به العشق[٨] حتى ذهب عقله، فسعى عليهم ابن مساحق مُصْدِقاً، فنزل برهط المجنون فرأى رجلاً عُرياناً فألقى عليه ثوباً فمزّقه، فسأل عنه فأُخبر بالقصة[٩]، فدعاه فإذا هو لا يعقل شيئاً، فقالوا له: إن أردت أن يرجع

إليه عقله فاذكر ليلى. فجعل يذكر[١] ليلى فثاب إليه عقله، فرقّ له وقال: إني أزوّجكها[٢]. فسار مع ابن مساحق إلى قومها[٣]، فلما سمع قومها بذلك لبسوا السلاح وقالوا: لا يدخل مجنون[٤] علينا. فضَمِن لهم ابن مساحق ألف ناقة فأَبَوا، وعاد إلى جنونه، وزوّجها أبوها رجلاً من قومه، فشقّ ذلك عليه وأنشأ يقول[٥]:

فـوالله ثـم الله إنـي لـدَائـبٌ[٦] أفكـر مـا ذنبي إليهـا وأعـجب
/ووالله مـا أدري عـلام صَـرَمْتِني وأيُّ أموري فيكِ يا ليلَ أركب[٧]
أأقطع حبل الوصل فالموت دونه أمَ اشـرب رنقاً[٨] منكمُ ليس يُشـرب
أمَ اهـرب حتى لا أرى لي مجاوراً أم اصنـع مـاذا أم أبـوح فـأُغلب
ولـو تلتقي أصداؤنـا بعد مـوتنا ومن دوننا رمس من الأرض مُكْثِب[٩]
لظلّ صدى رمسي[١٠] وإن كنت رمّةً لصـوت صـدى ليلى يهش ويـطرب

طرف أخباره:

١٧٢ ⇐ قال هشام [بن][١١] محمد الكلبي: ذُكر لي أن المجنون أتى رهط ليلى سراً، فصار إلى امرأة كانت عارفة بأمرهما، فشكا إليها الوجد وقلة الصبر، فرثتْ له

ووعدتْه أن تجمع بينهما، فاستأذنتْ ليلى أمها لتحدثها، فأذنتْ لها فجمعت بينهما، فبكى وشكا وبكت وشكت وأنشدها وأنشدته. فلما حان فراقهما أنشأ يقول[١]:

إذا قَـرُبـتْ دارٌ كَـلِفْـتُ وإن نـأت أسفتُ فـلا بالقـرب أسلو ولا البعدِ
وإن وعـدتْ زاد الهـوى لانتـظارهـا وإن بخلتْ بالوعد متُّ على الوعـدِ

١٧٣ ⇐ / وقال الأصمعي: حُدّثتُ أنّ رهط قيس قالوا لأبيه: اطلب له طبيباً لعلّه يُطلعنا على ما به. فأتاه بطبيب فنظر إليه وعالجه، فلما أعياه ما به خلاّه فأنشأ قيس يقول[٢]:

ألا يـا طبيب النفس أنت طبيبهـا فـرفقاً بنفسٍ قـد جفاهـا حبيبـهـا
دعتْني دواعي حـبّ ليـلى ودونهـا ذُرا قُور حِسْمَى الحزن منها قلوبها[٣]
فلبّيـك مـن داعٍ دعـا ولـو انني صـدًى بين أحجـارٍ لـظلّ يجيبهـا
ومـا هجرتُـكِ النفس من أجل أنهـا قَلَتْـكِ ولكنْ قَـلّ منـكِ نصيبُهـا

١٧٤ ⇐ وذكر الأصمعي أن رهط قيس قالوا لأبيه: لو خرجتَ به إلى الحجّ فدعا الله لعله ينساها، فخرج به فبينما[٤] هو يرمي الجمار إذ نادى منادٍ من بعض تلك الخيام: يا ليلى / فخرّ قيس[٥] مغشياً عليه ثم أفاق وأنشأ يقول قصيدته[٦] التي فيها يقول[٧]:

وداعٍ دعا إذ نحن بالخيف من منًى   فهيّج أحزان الفؤاد ولم يَدْرِ
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما   أطار بليلى طائراً كان في صدري
إذا ذُكِرَتْ يرتاح قلبي لذكرها   كما انتفض العصفور من بلل القطر

١٧٥ ⇐ قال جنيد: حُبس المجنون مع ليلى في السجن، فقيل له: اخرج. قال: لا أخرج لأن الكون مع الحبيب في السجن خير من الفراق. فأُخرج فجاء الناس يعزّونه بكونه ليلةً في السجن[١] فقال:

ليل الحبيب مع الحبيب نهار   وكذاك أيام الوصال قصار

وقال أيضاً[٢]:

وسجني مع المحبوب فردوس جنتي   وناري مع المحبوب أنوار مهجتي

١٧٦ ⇐ وقال أبو عبيدة: وذُكر لي أن سعيد بن العاص بن أبي ربيعة كانت بينه وبين قيس صداقة، فلما رأى قيساً / وما به قال له: فضحتَ نفسك وعشيرتك ونُسبتَ إلى الجنون، فلو تناسيتَها وشُغلتَ بالصيد ومحادثة الإخوان لسلا قلبك. فقال: كيف أسلو عنها ولستُ أرى شيئاً إلاّ تمثّلتْ لي دونه؟ ثم أنشأ يقول[٣]:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما   تمثّل لي ليلى بكل سبيل
فلا تَلْحَيَنّي يا سعيد فإنني   وحقّ إلهي هالك بقليل[٤]

١٧٧ ⪪ وقال خالد بن كلثوم: ومرّ قيس برجلين صيّادَيْن وقد اصطادا ظبيةً فقمطاها[٥]، فلما نظر إليها ترتكض[٦] في الحبالة دمعت عيناه وقال: خلّيا عنها، فأبيا

فقال: لكما شاة من غنمي، فدفعاها إليه فقبّلها وخلّى سبيلها وأنشأ يقول[١]:

ألا يـا شِـبْـهَ لـيـلى لا تـراعـي ... ولا يـثـنـيـك مـن وِرْدِ الـتِّـلاع[٢]
فـقـد أشْـبَـهْـتِـهـا إلا خـلالاً ... نشـوز القـرن أو حَمَش الـذراع[٣]

١٧٨ ⪪/وقال ابن الكلبي: كان قيس[٤] يحدّث جماعة من قومه فقالوا له: الحب صيّرك إلى هذه الدقة والنحول[٥]؟ فقال: والله ما بي داء إلا الحب، ثم غشي عليه، فقال بعضهم: ما هذا بحب إنما هو جنون، فأنشأ قيس[٦] يقول:

إني لأجلس فـي النّـادي أحـدّثهـم ... فـأستفيق وقـد غـالَتْنِيَ الغُـولُ[٧]
يُغشى عليّ إذا مـا كنتُ عـنـدكمُ ... حتى يقـول جليسي: أنت مخبـول

١٧٩ ⪪ أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: أخبرني أبو محمد[٨] أحمد بن عبدالله المزني[٩] سنة ثمان وثلاثين [وثلاث مئة][١٠] قراءة عليه قال: أخبرني أبو سعيد أحمد بن سعيد القاشاني قال: حدثنا جنيد بن حكيم الدقاق قال: أخبرني أحمد بن الحارث عن علي بن محمد المدائني عن أبي الهيثم العبدي قال: قال كثير عزّة: خرجتُ أريد أخوالاً لي فضللت الطريق، فبينا أسير[١١] في فلاة من الأرض إذا أنا برجل قاعد، فقلت: إنسي أم جنّي؟ قال: إنسي. فقلت: ما أقعدك ها هنا؟ قال: نصبت شَرَكاً

للظباء. قال كثير: / فأعجبني أن أنظر إلى صيده، فأَنَخْتُ راحلتي قريباً منه. فبينا أنا أحدّثه إذ اضطرب الحبل فقام وقمتُ فإذا بظبيةٍ كأحسن ما يكون من الظباء وأسمنه، فاستخرجها برفق وجعل يقبّل جيدها وعينيها[١]، ثم أرسلها وهو يقول[٢]:

اذهبي في كلاءة الرحمن أنتِ مني في ذمة وأمان
ترهبيني والجيد منكِ لليلى والحشى والبُغام[3] والعينان
لا تخافي بأن تُسامي بسوء ما تغنّى الحمام في الأغصان

قال كثير: فأعجبني ما رأيت منه فأقمتُ عنده. فلما كان من الغد غدا وغدوتُ فنصب حبالته فما لبثنا أن اضطرب الحبل فقام وقمتُ، فإذا بظبي كنحو ما كان أمس، ففعل به كما فعل بالآخر، فمضى غير بعيد ثم وقف فنظر إليه وقال[4]:

أيا شبه ليلى لا تراعي فإنني لك اليوم من وحشيةٍ[5] لصديقُ
فعيناكِ عيناها وجيدكِ جيدُها سوى أن عظم الساق منكِ دقيق
/ فلا تشكرِنّي[6] بالذي قد صنعتُه فأنتِ لليلى إن شكرتِ طليق
وما أنا ــ إن شبّهتُها ثم لم تؤب سليماً ــ عليها في الحياة شفيق

ثم لبثنا يومنا وليلتنا، فلما كان من الغد غدا وغدوتُ وصنع مثل صنيعه، فإذا نحن بظبية، ففعل مثلما فعل[7] ثم خلّاها وأنشأ يقول[8]:

تذكّرني ليلى من الوحش ظبية لها مقلتاها والمقلّد[1] والحشى
فظلّ دمع العين يجري[2] لذكرها فأشفى غليل القلب بالدمع ما جرى

فقلتُ: لله أبوك ما أعجب شأنك؟ فالتفتَ إلي ثم قال[3]:

أتلحى محباً هائماً أن رأى لمن أحبّ شبيهاً في الحبالة موثقا
فلما دنا منه تذكّر شجوه وآنس مما قد رآه تشوُّقا
وهيّج منه حائلاً دون ذبحه فأرسله من أجل ليلى وأطلقا[4]
ألا لا تَلُمْهُ بل به اليوم حُرقةٌ من الوجد لا تزداد[5] إلا تحرّقا

قال: فوالله إني لفي ذلك إذ أقبل راكب فقال: اللهم إني أسألك خير ما عنده. فجاء حتى وقف عليه فقال: تعزَّ يا قيس. / قال: عمَّن؟ قال: عن ليلى. فقام إلى بعيره وقمتُ إلى بعيري فشددنا عليهما ثم أقبلنا إلى الحي، فقال: أرشدني إلى قبرها. فأشار إليه، فإذا قبر حديث العهد بطينٍ فأكبَّ عليه يقبّله ويلتزمه ويشمّ ترابه وهو يقول(٦):

أيا قبر ليلى لو شهدناك أَعْوَلَتْ ... عليك نساء من فصيح ومن عجمْ
ويا قبر ليلى ما تضمنتَ مثلها ... شبيهاً لليلى في عفاف وفي كرم
ويا قبر ليلى أكرِمَنَّ محلّها ... يكن لك ما عشنا بها عندنا نِعَمْ
ويا قبر ليلى إنّ في الصدر غصّةً ... مكان الحشى شُدَّتْ مع الريق بالسّلم(٧)

قال: ثم شهق شهقة فمات، فدفنتُه أنا والراكب وأنشأتُ أقول(١):

سأبكيكما ما دمتُ حيّاً وإن أَمُتْ ... فإنيَ قد لاقيتُ ما تجدانِ

١٨٠ - أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: سمعت أبا نصر منصور بن عبدالله الأصبهاني يقول: سمعت أبا محمد الحريري يقول: قيل للمجنون: أتحبّ ليلى؟ قال: لا. قيل: ولـِمَ؟ قال: لأن المحبّة ذريعة الوُصلة وقد سقطت الذريعة، / فليلى أنا وأنا ليلى.

١٨١ - أنشدني أبو بكر محمد بن المنذر الضرير للمجنون(٢):

تذكّرتُ ليلى والفؤاد عميد ... وشطّتْ نواها(٣) والمزار بعيدُ
يَبيد الهوى من صدر كل متيّم ... وحبيّ لليلى ما حييتُ جديد

غرر أشعاره:

١٨٢ ـ أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: أخبرنا أبو الحسن[٤] المظفر بن محمد بن غالب الهمذاني قراءة عليه قال: حدثنا أبو بكر بن الأنباري قال: حدثنا عبدالله بن خلف قال: حدثنا عبدالله بن مسلمة[٥] المروزي قال: سمعت الأصمعي يقول: لم يكن مجنون بني عامر مجنوناً ولكن كانت فيه لوثة كلوثة أبي حيّة النميري، وهو من أشعر الناس، ومن جيد شعره[٦]:

أما والذي أبكى وأضحك والذي ... أمات وأحيا والذي أمرُه الأمرُ

لقد تركتْني أحسد الوحش أن أرى ... أليفين منها لا يروعُهما الذّعرُ
فيا حُبَّها زدني جوىً كلَّ ليلة ... ويا سلوة الأحباب[١] موعدكِ الحشر
/ ويا هَجْرَ ليلى قد بلغتَ بيَ المدى ... وزدتَ على ما لم يكن صَنع الهجر
عجبتُ لسعي الدهر بيني وبينها ... فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

١٨٣ ـ أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: [سمعت[٢] المظفر هذا يقول: سمعت الحسن بن علي الطبري يقول: سمعت أبي يقول: أُخبرت عن] الجعد بن عقبة الجرمي [أنه][٣] أنشد لمجنون بني عامر وهو قيس بن معاذ[٤]:

دعوتُ إله الناس عشرين حِجَّةً ... نهاراً وليلاً في الجميع وخاليا
لكي يبتلي ليلى بمثل بليّتي ... فتعلمَ حالي أو ترِقَّ لما بيا
فلم يستجب لي الله فيها ولم يُفِقْ ... فؤادي ولكن زِيدَ حتى برانيا

فيا ربّ حبّبني إليها وأَشْفِني ... بها وأَرِحْ مما يقاسي فؤاديا

١٨٤ ـ سمعت أبا بكر محمد بن المنذر الضرير يقول: مرّ رجل بمجنون بني عامر وهو يهذي، فقال له: ما بالك؟ فقال[٥]:

بِيَ اليأس أو داء الهُيامِ أصابني فإياك عني لا يصيبك[٦] ما بيا

١٨٥ ـ أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: سمعت أبا علي الحسن بن أحمد البيهقي القاضي يقول: سمعت أبا بكر بن الأنباري يقول: سمعت العباس بن

سالم الشيباني يقول: سمعت ابن الأعرابي / يقول: من جيد شعر مجنون بني عامر قوله[١]:

يقولون عن ليلى غَنِيْتَ وإنما بيَ اليأس عن ليلى وليس بيَ الصبرُ
فيا حبذا ليلى إذ الدهر صالح وسقياً لليلى بعدما فسد العمر[٢]
وإني لأهواها وإني لآيسٌ هوًى وإياس كيف ضمّهما الصدر[٣]

١٨٦ ـ وأنشدتنا غرّاء بنت الفقاعي البصرية[٤]:

أمرّ مجانباً عن دار ليلى أُلِمُّ بها وفي قلبي غليل
وقلبي عند ساكنها فهل لي إلى قلبي وساكنها سبيل
ولو أنّ الطّلول أجبن صبّاً لِرَحْمته أجابتني[٥] الطلول

١٨٧ ـ ومن جيد شعره[٦]:

يقولون مجنونٌ بحبكِ مولعٌ ألا حبذا جنٌّ[٧] بها وولوعُ
ولا خير في حبٍّ يكون كأنه شغاف أجنّتْه حشًى[٨] وضلوع

١٨٨ ومـنـه[٩]:

قـالـوا جُننتَ على ليلى فقلت لهم　　الـحب أعـظمُ داءٍ بـالـمجـانـيـن

وقد نسب مجنون ليلى إلى الجنون لأنه جعل الحب سبب الجنون وقال[١]:

/جُنّنـا على ليلى وجنّت بغيـرنـا　　وأخـرى بنا مجنونة ما نـريـدهـا

١٨٩ ومـنـه[٢]:

وجـاؤوا إليه بـالتعـاويـذ والـرُّقَى　　وصَبّوا عليه الماء من ألم النُّكس

وقـالـوا بـه من أعين الجن لحظةٌ　　ولـو عقلوا قـالـوا به أعين الإنس

١٩٠ ومـنـه[٣]:

وعـاذلـةٍ تُـقـطّعـنـي مـلامـا　　وفـي زجـر العـواذل لـي عـزاءُ

وقـالـوا لـو تشـاء صبـرتَ عنهـا　　فـقـلتُ لـهـم فـإنـي لا أشـاء

وكـيـف وحـبُّهـا عَـلِقٌ بقـلبي　　كـمـا عَلِقـتْ بـأرشيـةٍ دِلاءُ[٤]

لـهـا حـبٌّ تـمكَّـنَ من فـؤادي　　ولـيس لـه وإن زُجـر انـتـهـاء

١٩١ ومـنـه[٥]:

أفي مُكْثِنـا عنكمْ ليالٍ مـرضتُهـا　　تـزيدينني ليلى على مرضي جَهْدا

تَعُـدّين ذنبـاً أنتِ ليلى جنيتِـه　　عـليّ ولا أحصي ذنـوبكـمُ عـدّا

وإن شئتِ حـرّمتُ النسـاءَ سـواكمُ　　وإن شئتِ لم أشرب نُقاخاً[٦] ولا بردا

غـداً يكثر البـاكـون منّـا ومنكمُ　　وتـزداد داري من ديـاركمُ بُعـدا

١٩٢ / أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: أنشدني المظفر بن محمد[1] بن غالب قال: أنشدنا ابن الأنباري قال: أنشدنا عبدالله بن خلف لمجنون بني عامر[2]:

أيا شبه ليلى إن ليلى مريضة ... وأنتَ صحيح إنّ ذا لَمحالُ
أقول لظبيٍ مرّ بي في مفازة ... ألأنت أخو ليلى؟ فقال: يقال
فإن لا تكن ليلى غزالاً بعينها ... فقد أشبهتْها ظبية وغزال

١٩٣ ومن مشهور شعره[3]:

ذكرتك والحجيج لهم[4] ضجيج ... ببكّة والقلوب لها وجيبُ
فقلتُ ونحن في بلدٍ حرامٍ ... به لله أُخلِصَتِ القلوب
أتوب[5] إليك يا رحمن إني ... أسأتُ وقد تضاعفتِ الذنوب
فأما من هوى ليلى وحبّي ... زيارتَها فإني لا أتوب

* * *

حكاية سعدون والمتوكل:

٢٣٥ - أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الطيب قال: حدثنا حفص بن عمر قال: حدثنا علي بن محمد قال: حدثنا إبراهيم بن سعيد النَّيْبُخْتِي قال: كتب المتوكل إلى عامله بالبصرة: بلغني أن قِبَلَكَ رجلاً أديباً ظريفاً ذا حكمة فوجِّهْ به إليّ على أحسن حال غير مروّع. فحمله إليه، فلما ورد الباب قال الحاجب له: سَلِّمْ على الخليفة سلام الخلفاء. فدخل ثم سلَّمَ عليه وقال: أنت المتوكل؟ قال: نعم. قال: فَلِمَ تسمّيت بالمتوكل ولم تتسمَّ بالمتواضع؟ ثم قال: السلام عليك أيها الشارب بكأس التجبّر والمتكىء على نمارق البلوى! السلام عليك / يا من استوى على أسرّة الفناء وتقمّص بقميص الخيانة متّبعاً للهوى. كأني بك وقد أتاك فظٌّ غليظ فجذبك عن [سرير][1] بهائك وأخرجك عن مقاصير علائك، فلم يستأذن عليك حاجباً ولا قهرماناً حتى أخرجك إلى ضيق اللحد وفراق الأهل والولد. فلو نظرتَ في صحيفة بطالتك يا من

احتوى على أموال الضَّعَفَة بظلمه غداً تُبلى سرائرك بين يَدَيْ من لا تخفى عليه السرائر، فتحمَلَ على دقيق المسألة جواباً وعلى الصراط جوازاً فستعلم وستقرأ ما قد أُحصِي عليك بالتحقيق. قال: فغاظه ذلك وأمرَ به حتى حبس. فلما كان اليوم الثاني أمر بإخراجه فلما وقف بين يديه قال: يا سعدون بلغني أنك قدَرِيٌّ تقايس في العظمة وتداخل في التكوين. فقال: يا متوكل ما لمن له عقلٌ موجود وفهمٌ غير مفقود أن يتكلم في القدر قال: فنظر إليه مُغضَباً وردّه إلى الحبس. فلما كان في اليوم الثالث أخرجه فوقف بين / يديه فقال له: يا سعدون بلغني أنك ثنوي تقول السماء خالية بلا مدبّر. فقال له: يا متوكل أسألك عن شيء تخبرني به؟ قال: نعم. قال: من جعل سطح الهامة منبت الشعر وسقاها من حرارات الدماغ؟ قال: الله. قال: فأخبرني من مدّ حاجبيك فأنبتَ عليهما الشعر؟ قال: الله. قال: فأخبرني من خرق السمعين خرقاً فجعل فيهما سمعاً[2]؟ قال: الله. قال: فأخبرني من فتق العينين وجعل الحدقة بياضاً وجعل وسطها سواداً؟ قال:

الله. قال: فمن جعل فيهما ماءً عذباً وملحاً؟ قال: الله. قال: فمن جعل العذب في البياض والملح في السواد؟ قال: الله. قال: فمن ألزم القدمين الساقين فجعلهما أسطوانة الركبتين[1]؟ [قال: الله][2]. قال: فمن شدَّ الحَقْوين[3] بالوَرِكين؟ قال: الله. قال: فمن عرّفك أن تقول الله؟ قال: الله. قال فكيف أقول: السماء بلا إله؟ قال المتوكل: بلغني أنك تقول: القرآن مخلوق. قال: يا متوكل:

إرْضِ عن الله وثِقْ بالله ... وكلَّ شيء بقضاء الله
ما تبلغ الفطنةُ كنه الله ... ولا يفوت الخلقَ رزقُ الله
/ يا أيها الكاشف وصف الله ... الله لا يشبه خَلْقَ الله
القبض والبسط فَعالُ الله ... والجود والفخر أيادي الله
يا أيها القائل قل في الله[4] ... بالصدق والحق عرفت الله
فلا تكن مبتدعاً في الله ... إرْضَ بدين الله عند الله

لا شيء أحلى من كلام الله ... يكون مخلوقاً كلامُ الله؟
يقولها مبتدع والله!

قال: فأمر به إلى الحبس[5]، ثم اتخذ مقصورة وأمر بفرش الزرابيّ من الحرير الأخضر والخزّ والديباج، ثم دعا به. فلما نظر إليها ضحك ثم قال: يا متوكل هذا ملك[6] الدّنيّ الحقير الفاني. قال المتوكل: بلغني أنك حَروري تقع في السلطان. قال: إني لست كذلك ولكن أصفُ لك مرجاً أحسن من مرجك وقصراً أبهى من قصرك. قال: هاتِ. قال: إنّ في الجنّة مرجاً من ورق الآس في وسط المرج قصر من درّ وشقائق

وفي وسط القصر قبة من ورق السوسن والقصر والقبة مبنيان على نبات القَرَنْفُل لها حدود أربعة؛ / فالحدّ الأول ينتهي إلى راحة الوَجِلِين، والحد الثاني ينتهي إلى نعيم المشتاقين، والحد الثالث ينتهي إلى طريق المريدين، والحد الرابع ينتهي إلى سرور المحزونين. ولها شارع ينتهي إلى غرف مملوءة بتحف ووصائف ورفارف، وإلى خيام وخُدّام وإلى ميدان يطوف في ساحتها الوِلدان، أرضها من الفضّة ورمالها من اللؤلؤ وقضبانها من العنبر(١) وشُرَفُها من الياقوت الأحمر. العرش سقفها، والرحمة حشوها، والأنبياء سكانها، والملائكة عُمّارها، والولدان خُدّامها، وعلى البقاء أساسها، ولدوام الأبد نعيمها، ومن الذهب مقاصيرها، ومن الاستبرق سررها(٢). عاليةٌ مساكنها(٣)، الزعفران حشيشها، والقرنفل نباتها، والسندس ثيابها. مُطَّرِدةٌ أنهارها. دائمةٌ ظلالها دانيةٌ قطوفها. مطهَّرةٌ أزواجها، خضرٌ رياضها، لذيذٌ عيشها، ذكي(٤) مسكها وكافورها. فهي دار العيش والنعيم المقيم / في قصور وأنهار وأشجار وظل(٥) ممدود وماء مسكوب وطَلْح منضود(٦). فساكن هذه الدار في نعيم لا يزول ولا غلٌ في صدور سكانها قد رُفِعَتْ منهم الأسقام

وزالت عنهم الآلام. وصاحب هذه الدار أبداً معانق الأبكار في مرافقة الأخيار وجوار الملك الجبّار. ثم رفع جبّته وقام(٧) يخطر في مشيته ويقول:

قبّة من جواهر الـ ـخُلْدِ بالنور(٨) رصّعَتْ
جوفُ قصرٍ من الزَبَرْ جَدِ بالنور رُفّعَتْ

مـذ بنـاهـا الجليـل فـي داره[1] مـا تـزعـزعـتْ
لـو عـليـهـا تـسـاقـطت أرضـهـا مـا تـصـدّعـتْ
حُجِبـتْ كـاعبٌ مـن الْـ ـحُـورِ فـيـهـا وأبـدِعَـتْ
عـجب الـحسـن والـجـمـا لُ إذا مـا تـطلّعـتْ
مُـتِّـعَ الـحِـبُّ بـالـحـبيـ ـب كـمـا قـد تـمـتّعـتْ

فقال المتوكل: أحسنتَ بارك الله فيك، من زعم أنك مجنون؟ ثم أمر له بجائزة فردّها وقال: حسبي الله الذي / جعل خزائن عطائه مفتوحة لمؤمّليه، وحسبي من جعل مفاتيحها صحة الطمع فيه.

* * *

أبو وهيب بهلول بن عمرو بن المغيرة[1] المجنون

٢٣٦ـ كوفي. أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: سمعت أبا الفضل أحمد بن محمد بن حمدون الفقيه النَسويَ بها يقول: سمعت محمد بن إسماعيل بن سالم القزويني يقول: سمعت أبي يقول: سمعت محمد بن إسماعيل[2] بن أبي فُدَيْكٍ يقول: رأيت بُهلولاً في بعض المقابر قد دلّى رِجْلَه في قبر وهو يلعب بالتراب فقلت له: ما تصنع ها هنا؟ قال: أجالس أقواماً لا يؤذونني وإن[3] غبت عنهم لا يغتابونني. فقلت: قد غلا السعر فهل تدعو الله فيكشف؟ فقال: والله ما أبالي ولو حبَّةٌ بدينار. إنّ الله أخذ علينا أن نعبده كما أمرنا وعليه أن يرزقنا كما وعَدنا. ثم صفّق يديه[4] وأنشأ يقول:

يـا من تمتّع بـالـدنيـا وزينتهـا ولا تـنـام عـن الـلّذات عيـنـاهُ

/ شغلت نفسك فيما لستَ تدركه تـقـول لله مـاذا حيـن تلقـاه؟

٢٣٧ـ أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: سمعت أبا علي الحسن بن أحمد الحنّاط[5] النَّسوي يقول: سمعت عبدالرحمن بن محمد البُرْزَابَاذِيَ يقول: سمعت

عمار بن هاشم يقول: سمعت علي بن سعيد بن علي الكندي[1] يقول: خرج الرشيد إلى الحج، فلمّا كان بظهر الكوفة إذا هو ببهلول المجنون على قصَبَةٍ وخلفه صبيان وهو يعدو فقال: من ذا[2]؟ قالوا: بهلول المجنون. قال: كنت أشتهي أن أراه فَادْعُوه غيرَ مروّع. فقالوا له: أجب أمير المؤمنين. فعدا على قصبته. فقال الرشيد: السلام عليك يا بهلول. فقال: وعليك السلام يا أمير المؤمنين. قال: كنت إليك بالأشواق. قال:

ولكني لم أشتق إليك. قال: عظني يا بهلول. قال: وبـمَ أعِظُك؟ هذه قصورهم وهذه قبورهم. قال: زدني فقد أحسنت. قال: يا أمير المؤمنين، من رزقه الله مالاً وجمالاً فعفّ في جماله وواسى من ماله كتب في ديوان الأبرار. / فظن الرشيد أنه يريد شيئاً فقال: قد أمرنا أن يقضى دينُك. قال: كلا لا يُقضى دَيْنٌ بِدَيْن[٣]. أردد الحق على أهله واقض دَيْن نفسك من نفسك. هذه نفس واحدة إن هلكتْ ما انجَبرتْ. قال الرشيد: فإنّا قد أمرنا أن يُجرى عليك. فقال: يا أمير المؤمنين إن الله لا يعطيك وينساني. ثم ولّى هارباً.

٢٢٨ ـ أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن عبدالله بن موسى الشاشي قدم علينا حاجّاً قال: سمعت علي بن محمد بن سعيد الكوفي يقول: سمعت أحمد بن عبدالله القرشي يقول: سمعت الفضل بن الربيع يقول: حججنا مع الرشيد فمرّ بالكوفة في طاق المحامل إذا ببهلول[٤] [قاعد يهذي ويلعب بالتراب، فابتدر إليه الخدم ليطردوه، فقام وقال] للرشيد: فكيف ولو أقامك الله بين يديه، فسألك عن النقير والقطمير والفتيل[٥]؟. قال: فخنقته العَبْرة. فقال الحاجب:

حَسْبُك يا بهلول فقد أوجعت أمير المؤمنين. فقال الرشيد: دعه. فقال بهلول: إنما أفسده أنت وأضرابك. فقال الرشيد: إني / أريد أن أصلك بصلة. فقال بهلول: رُدَّها على من أخذتَها منه. فقال الرشيد: فحاجةٌ؟ قال: ألاّ تراني ولا أراك. ثم قال: يا أمير المؤمنين

حدثنا أيمن بن نائل[١] عن قدامة بن عبدالله الكلابي قال[٢]: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي جمرة العقبة على ناقة[٣] صهباء لا ضَرب ولا طَرد ولا إليك إليك. ثم ولّى بقصبته وأنشأ يقول:

فَعُدَّكَ قد ملكتَ الأرضَ طرّاً ودان لك العباد فكان ماذا
ألستَ تصير[4] في قبرٍ ويحوي تُراثَك بعدُ هذا ثم هذا؟!

٢٣٩ - أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: حدثناأبو موسى عمران بن الحصين[5] قال: حدثنا أبوعوانة يعقوب بن إسحاق المهرجاني قال: حدثنا أبوعلي سهل بن علي ببغداد قال: حدثنا محمد بن الحسين عن أبي عبدالرحمن الأشهلي قال: قال أبي[6]: قلت لبهلول / المعتوه: أي شيء أولى بك؟ قال: العمل الصالح.

٢٤٠ - أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: أخبرنا أبوموسى قال: حدثنا أبوعوانة قال: حدثنا أبوعلي قال: حدثنا محمد بن الحسين قال: حدثنا أبوعبدالرحمن[7] قال: قال أبي: قدم علينا هارون[8] أمير المؤمنين يريد الحج فنزل الحيرة وكنت بها. فغدوتُ يوماً فرأيت بهلولاً في جبّانة كندة فقلت: يا بهلول إن لي حاجةً فادعُ الله لي. فاستقبل القبلة ورفع يديه ثم قال: يا من لا تحترك[9] الجوارح دونه اقْضِ لعزيز حوائج الدنيا والآخرة. قال أبوعبدالرحمن: قال أبي: فوجدتَ لدعائه بَرْداً على قلبي، فحللتُ من خرقةٍ كانت معي درهمين فقلت: هاكهما. فقال: يا أبا محمد إنك تعلم أني آخذ الرغيف وأشباهه ولا آخذ على الدعاء أجراً. قال أبوعبدالرحمن: قال أبي: فما رجعتُ حتى قُضِيَتْ حاجتي.

٢٤١ - أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: أخبرنا أبو موسى قال: حدثنا أبو عوانة قال: حدثنا ا أبو علي قال: / حدثنا عمر بن شبّة النميري قال: حدثنا الفضل بن سليمان مولى أبـي جعفر قال: كان بهلول يأتي سليمان بن علي فيضحك منه ساعة ثم ينصرف. فجاءه يوماً فلما أراد الانصراف قال: [هل عندك شيء نأكل؟. فقال سليمان: يا غلام][(١)] هات خبزاً وجبناً، فجيء به فأكل وانصرف. ثم عاد بعد أيام وقال: هل عندك شيء نأكل؟ فقال: يا غلام هات خبزاً وزيتوناً، فجاء به فأكل. فلما قام لينصرف قال لسليمان: ترانا نجد لحماً إن جئنا بيتكم يوم العيد؟.

٢٤٢ - أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: أخبرنا أبو موسى قال: حدثنا أبو عوانة قال: حدثنا أبو علي قال: حدثنا عمر بن شبّة[(٢)] قال: أخبرني بعض الكوفيين قال: حجّ الرشيد فذكر بهلولاً حين دخل الكوفة، فأمر بإحضاره وقال: ألبسوه سواداً وضعوا على رأسه طويلةً وقِفُوه في موضع كذا. ففعلوا به ذلك وقالوا له: إذا دنا أمير المؤمنين فادعُ له. فلما حاذاه الرشيد رفع بهلول صوته وقال: / يا أمير المؤمنين. نسأل[(٣)]

الله أن يرزقك ويوسع عليك من فضله. فضحك الرشيد وقال: آمين. فلما جازه الرشيد دفع صاحبُ الكوفة في قفاه وقال: هكذا تدعو لأمير المؤمنين يا مجنون؟ قال: ويلك اسكت فما في الدنيا أحب إلى أمير المؤمنين من الدراهم. فبلغ ذلك الرشيد فضحك وقال: والله ما كذب.

٢٤٣ - أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: سمعت أبا نصر منصور بن محمد المطرفي بهراة[(٤)] يقول: سمعت أبا تراب الأعمشي يقول: سمعت أبا المعافى

الشيرازي يقول: سمعت الحسن بن سهل بن منصور يقول: رأيت الصبيان يرمون بهلولاً بالحصى فأدمَتْه حصاة فقال:

حسبي الله توكلت عليه مَن نَواصي الخلق طراً بيديْهِ[1]
ليس للهارب في مهربهِ أبداً من راحةٍ إلا إليه
رُبّ رامٍ لي بأحجار الأذى لم أجد بدّاً من العطف عليه

قلت له: تعطف عليهم وهم يرمونك؟ فقال: اسكت لعل / الله يطّلع على غمّي ووجعي وشدة فرح هٰؤلاء فيهب بعضنا من بعض.

٢٤٤ ـ أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: أخبرنا محمد بن الطيب قال: حدثنا حفص بن عمر قال: حدثنا علي بن عبدالحميد عن إبراهيم بن الجنيد[2] عن صبّاح بن حيّان عن الحسن بن سهل بن منصور[3] به سواء.

٢٤٥ ـ أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد[4] قال: سمعت جدّي العبّاس بن حمزة يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: دخلت الكُناسة[5] بالكوفة فرأيت مجنوناً واقفاً قد حجز الناس عن الطريق، فلما رآني قال: مرّ يا أحمد أنا بهلول أعرفك بعرفان. ثم أنشأ يقول:

حقيقٌ بالتواضع من يموتُ وحَسْبُ المرء من دنياه قوتُ
فما للمرء يصبح ذا اهتمامٍ وشغلٍ لا تقوم له النّعوتُ
صنيع مليكنا حسنٌ جميلٌ وما أرزاقنا مما تفوتُ[6]
فيا هٰذا سترحل عن قريبٍ إلى قومٍ كلامُهم السكوتُ

٢٤٦ ـ / أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: أخبرنا الحسن بنُ سهل بن نفيس السجزي بهراة قال: حدثنا علي بن محمد بن أيوب المروزي قال: حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال: اشتهى بهلول عسلاً فجاء إلى بعض أشراف الكوفة فقال: أريد أن آكل عسلاً بسِرقين[1] قال: نعم. قال: فادعُ بهما. فدعا بهما فأمعن في أكل العسل وحده فقال الرجل[2]: قد نقضت الشرط مالك لا تأكل السّرقين؟ قال: هو وحده أطيب.

٢٤٧ ـ أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: أخبرنا محمد بن عبدالله بن محمد[3] قال: أخبرنا محمد بن زكريا بن دينار[4] الغلاّبي قال: حدّثني عبدالله بن عبدالكريم قال: كان لبهلول قبل أن يُجنّ صديق، فلما أُصيب بعقله فارقه صديقه. فبينما[5] بهلول يمشي في بعض طرقات البصرة إذا بصديقه، فلما رآه صديقه عدل عنه، فقال بهلول:

أُدْنُ منّي ولا تخافنّ غدْري   ليس يخشى الخليلُ غَدْرَ الخليلِ

/ إن أدنى الذين ينالك مني   سَتْرُ ما يُتّقى وبثُّ الجميل

٢٤٨ ـ [أخبرنا[6] أبو جعفر محمد بن إبراهيم بن عبدان بن جبلة القايني قال: حدثنا محمد بن نصر القايني قال: حدثنا أبو الربيع سليمان بن الربيع الحلواني قال: حدثني أبو الخزرج من آل أبي الدرداء قال: اجتمع قوم فقالوا لبهلول: هل لك في درهم؟ قال: نعم. فأخرجوا إليه درهماً أبيض، فقال: ما أحسنه، هذا لي؟ قالوا: نعم على أن تشتم فاطمة! ففزع وقال: من فاطمة؟ قالوا: بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: يا أولاد الطوامث، أنا أشتم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

فقاموا، فلما رآهم قياماً وخاف ذهاب الدرهم قال: هل لكم أن أشتم عائشة بنصف درهم؟ قالوا: لا. ثم ضرب جبهته بكفّه وقال: أستغفر الله، رحم الله عائشة، أشهد أنها زوجة رسول الله في الجنّة].

٢٤٩ ــ أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: أخبرنا أبو موسى قال: حدثنا أبو عوانة(١) قال: حدثنا أبو يحيى الفرغاني قال: سمعت الحسن الرازي يقول: مرّ بهلول بقومٍ في أصل شجرة وكانوا عشرة نفر. فقال بعضهم لبعض: تعالوا حتى نسخر ببهلول(٢). وسمع بهلول ما قالوا فجاءهم، فقالوا: يا بهلول: تصعد لنا رأس هذه الشجرة وتأخذ عشرة دراهم؟ قال: نعم. فأعطوه عشرة دراهم فصرّها في كمّه ثم التفت إليهم وقال: هاتوا سلّماً. فقالوا: لم يكن هذا في الشرط. فقال: كان في شرطي دون شرطكم.

٢٥٠ ــ أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: أخبرنا محمد(٣) بن الطيب قال: حدثنا حفص بن عمر قال: حدثنا علي بن عبدالحميد قال: حدثنا إبراهيم بن الجنيد قال: حدثنا إسماعيل بن عبدالرحمن الكوفي قال: لقيني بهلول المجنون فقال(٤): أسألك. قلت: سل. قال: أي شيءٍ السخاء؟ قلت: البذل والعطاء. قال: هذا السخاء / في الدنيا، فما السخاء في الدين؟ قلت: المسارعة إلى طاعة الله. قال فتريدون منه الجزاء؟ قلت: نعم بالواحدة عشراً. قال: ليس هذا سخاءً(٥)، هذا متاجرة ومرابحة. قلت: فما هو عندك؟ قال: لا يطّلعُ على قلبك وأنت تريد منه شيئاً بشيء(٦).

٢٥١ ⩶ أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: أخبرنا أبو موسى قال: حدثنا أبو عوانة قال: حدثنا أبو علي قال: حدثنا أحمد بن سهل الكوفي قال: حدثني علي بن الفضل الوشّاء قال: كان بهلول إذا نظر إلى الصبيان الأطفال ليس معهم آباؤهم قرص هذا ولطم هذا وعضّ هذا، فقيل له: أيحل لك هذا؟ تعذب هؤلاء الأطفال؟ فيقول: ليس في هؤلاء إلا من خرج شرّاً من أبيه فأضربهم الساعة فإنهم إذا كبروا ضربوني واقتصّوا مني!.

٢٥٢ ⩶ وبهذا قال أحمد بن سهل: أخبرني بعض أصحابنا قال: قيل في مجلس شريك لرجل: أي الفاكهة الرطبة أحب إليك؟ قال: اللحم. قيل فاليابسة؟ قال: القديد. فقال بهلول وهو في ناحية المسجد: أخطأتَ والله. فقال له شَرِيك: فهات ما عندك. قال: إن أصبتُ تأمر مَهْرَكَ جاريتك[1]/ أن تطعمني قَوْصَرة[2] تمر؟ قال: نعم. قال سل عما شئت. قال: أي الفاكهة الرّطبة أحبّ إليك؟ قال: بالغداة الرّوس والهريسة، وبالعشي الشواء والجُوذاب[3]. ثم قال لشريك: بالله عليك من أعقل أنا أم هو؟ يقول ابن الحمقاء[4]: اللحم. من يطبخ له، من يقطّعه، من يشتري له الأبزار[5]؟.

٢٥٣ ⩶ [وبهذا[6] قال أحمد بن سهل قال: قال رجل لبهلول: أما تستحي تأكل في السوق؟ قال: ويلك تطعن على الله وتردّ عليه! هو لم يَسْتَحْيِ أن يجيعني في السوق، أأستحي أن آكل فيها؟

٢٥٤ ⩶ قال أحمد: وقال له إسحاق بن الصباح الكندي: أكثر الله في الشيعة مثلك يا بهلول. قال بل أكثر الله في المرجئة مثلي وأكثر في الشيعة مثلك].

٢٥٥ ⁕ أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: أخبرنا أبو موسى قال: حدثنا أبو عوانة قال: حدثنا أبو علي قال: حدثنا محمد بن أحمد الكوفي قال: خرج أناس من ولد عيسى بن موسى الهاشمي بالكوفة، فلقيهم بهلول وكان كلامه حكمة فقالوا: عِظْنا يا بهلول. قال: بِمَ أعظِكم؟ هذه قصوركم وهذه قبوركم.

٢٥٦ ⁕ أخبرنا[1] محمد قال: أخبرنا الحسن قال: أخبرنا محمد بن الطيِّب قال: حدثنا حفص بن عمر قال: حدثنا علي بن عبدالحميد قال[2]: حدثنا إبراهيم بن الجنيد[3] عن عمرو بن جابر الكوفي قال: مرّ بهلول بصبيان الكتّاب فجعلوا يضربونه، فدنوتُ منه وقلت: ألا[4] تشكوهم إلى آبائهم؟ فقال لي: اسكت فلعلّي / إذا متُّ يذكرون هذا الفرح فيقولون: رحم الله ذلك المجنون.

٢٥٧ ⁕ أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: أخبرنا محمد قال: حدثنا حفص قال: حدثنا علي قال: حدثنا إبراهيم[5] قال: قال صبّاح الوزّان الكوفي: لقيتُ بهلولاً يوماً فقال لي: أنت الذي يزعم أهل الكوفة أنك تشتم أبا بكر وعمر؟ قلت: معاذ الله أن أكون من الجاهلين. قال: إياك يا صبّاح فإنهما جبلا الإسلام وكهفاه، ومصباحا الخلد وقنديلاه، وحبيبا محمد صلى الله عليه وسلم[6] وضجيعاه، وشيخا المهاجرين وسيّداهم. ثم قال: جعلنا الله من الذين على الأرائك يسمعون كلام الله إذا زُفَّ القوم إلى سيّدهم.

٢٥٨ ⁕ أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: أخبرنا أبو موسى قال: حدّثنا أبو عوانة قال: حدّثنا أبو علي قال: حدثنا زكريا بن يحيى عن علي بن الحسين[7] الرازي

قال: لما مات أبو بهلول خلّف ستّ مئة درهم، فأخذها القاضي وحجر[1] عليه، فأتاه بهلول فقال: أصلح الله القاضي! قد حجرتَ عليّ وتزعم أني مصاب في عقلي، وأنا جائع فادفع لي[2] مئتي درهم حتى أقعد / في أصحاب الخلقان أبيع وأشتري، فإن رأيتَ مني رشداً ضممتَ إليها الباقي، وإن تلِفَتْ[3] فالذي أتلفتُ أقلّ مما بقي. فأتى[4] بالكيس فوزن له مئتي درهم فأخذها بهلول ولزم الحيرة حتى أنفدها. ثم جاء إلى القاضي وهو في مجلس القضاء فقال: يا بهلول ما صنعتَ؟ قال: أعزّ الله القاضي، أنفقتُها، فإن رأى القاضي أن يزن من ماله مئتي درهم ويردّها إلى الكيس حتى يرجع المال إلى ما كان! قال القاضي: فتجحدني ما أخذتَ مني؟ قال: كلاّ ولكنّي أقمتُ عندك شاهدين أنّي موضعٌ[5] لها. قال: صدقتَ، فدعا بمئتي درهم وردّها إلى الكيس.

٢٥٩ ـ أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: حدثنا محمد بن الطيب قال: حدّثنا حفص بن عمر قال: حدثنا علي بن عبدالحميد عن إبراهيم[6] بن الجنيد قال:

حدثني عبّاس البنّاء قال: نظر إلي بهلول وأنا أبني داراً فقال: لمن هذه؟ قلت: لرجل من نبلاء الكوفة. قال: أرنيه. فأريته إياه، فناداه: يا هذا لقد تعجّلتَ الجناية قبل العناية! اسمع إلى صفة دارٍ / كوّنها العزيز، أساسها المسك وملاطها العنبر، اشتراها عبدٌ قد أزعج للرحيل، كتب على نفسه كتاباً وأشهد على عقده[7] ضمائره شهوداً: هذا ما اشترى العبد الجافي من الربّ الوافي؛ اشترى منه هذه الدار بالخروج من ذلّ الطمع إلى عزّ الورع، فما أدرك المستحق فيما اشتراه من دركٍ فعلى المولى خلاص ذلك وتضمينه إياه. شهد على ذلك العقل وهو الأمين والخواطر، وذلك في إدبار الدنيا وإقبال الآخرة.

أحد حدودها ينتهي إلى ميادين الصفاء، والثاني[1] ينتهي إلى ترك الجفاء، والحد الثالث ينتهي إلى لزوم الوفاء، والحد الرابع ينتهي إلى سكون الرضى في جوار مَن على العرش استوى. لها شارع ينتهي إلى دار السلام، وخيام قد مُلئت بالخدّام في انتقال الأسقام وزوال الضر والآلام. يا لها داراً لا ينقص نعيمها ولا يبيد، داراً[2] أسّست فَجُعِل من الدرّ والياقوت شُرَف تلك الحدود، وجُعل مِلاطها من البهاء والنور وملء خيامها من ملهياتٍ / هنّ كمال السرور من العِين الحُور، ليس لهن سوى الدّين والتقوى مهور. قال: فترك الرجل قصره وهام على وجهه وأنشأ بهلول يصيح خلفه:

يا ذا الذي طلب الجنان لنفسه   لا تهربنّ فإنه يعطيكا

٢٦٠ ـ أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: أخبرنا محمد بن الطيب قال: حدثنا حفص بن عمر قال: حدثنا علي قال: حدثنا إبراهيم عن عبدالله بن خالد[3] قال: غزا معنا بهلول في الصائفة وعلى عنقه قربة ماء، فلما حمي [وطيس][4] الحرب ألقى القربة بين الصفّين وهو يقول معاتباً لها: ويلكِ يا قِرْبة حتى متى وإلى متى لا تفارقيني[5]؟ وكم بالمنى تخدعيني[5]! هذا يوم فراقكِ إن شاء الله. ثم رمى بطَرْفه نحو السماء وهو يقول: وعزّتكَ ما قتالي أعداءَك شوقاً إلى نعيم الجنّة وإن كان مقيماً، ولا هرباً[6] من النار وإن كان عذابها أليماً، ولكنّي بحبّي[7] إياك يا حبيب أوليائه. ثم أنشأ يقول:

ما قَدْرُ نفسي في رضى مولاها   إن[8] قُتِلَتْ أو قاتلتْ أعداها

قـالــت لمـولاهــا ومَــن مــولاهــا ومــن[1] إلــى جــنّــتــه هــداهــا
/ مــا رغـبتـي الجنّـة أن أراهــا ورهـبتـي الـنــار بــأن أصــلاهــا
لــكــنــنــي عــبــدٌ أحــبُّ الــلّــهَ

ثم رجع فضحك[2] وهو يقول:

مـا لَكِ جئنـا فـابعـدي يـا خـاسـرهْ عـنـي إلـى دار الـخـلود الـزاهــرهْ
لله جئنــا فــاغــربـي يــا قــاصــرهْ

ثم غاب عنّي فلحقته وبه ضربات مثخنة[3] فقلت: أبشر ياأبا وُهَيْبٍ بالجنة. قال: اسكت ما من أجلها قاتلتُ ولكن لأؤدي بعض حقه.

٢٦١ ـ أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: أخبرنا محمد قال: حدّثنا حفص قال: حدثنا علي قال: حدثنا إبراهيم[4] عن يزيد بن عبدالخالق قال: سمعت

أبـي يقول: سمعت بهلول المجنون يقول: من كانت الآخرة أكبر همّه أَتَتْه الدّنيا وهي راغمة. ثم أنشأ يقول:

يـا خاطب الـدنيـا إلى نفسـه تنَـحَّ عن خـطبتهـا تـسلمِ
إن الـتـي تـخـطب غـدّارةٌ قـريبـة العـرس من المـأتمِ

٢٦٢ ـ أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: حدثنا حفص قال: حدثنا علي قال: حدثنا إبراهيم[5] عن كثير بن روح قال: رأيت بهلولاً ذات يوم يتمثّل ويقول:

/ يا طالب الرزق في الآفاق مجتهداً أتعبتَ نفسك حتى شفَّك الطلبُ
تسعى لرزقٍ كفاك الله بُغْيَتَه اُقْعُدْ فرزقكُ قد يأتي به السببُ
كم من دنيٍّ ضعيفِ العقل تعرفُه له الولاية والأرزاق[1] والذهبُ
ومن حسيبٍ له عقلٌ يزيِّنه بادي الخصاصة لا يُدرى له نَشَبُ[2]
فاسترزِق الله مما في خزائنه فالله يرزق لا عقلٌ ولا حسبُ

٢٦٣ - أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: أخبرنا أبو إبراهيم إسماعيل بن عبدالله الراوية البصري قال: أخبرنا صالح بن عبدالرحيم الكوفي عن أبيه قال: مات لنا جار فاختلفوا في قبره فقال بعضهم: نسنّمه وقال بعضهم[3]: نسطّحه. فبينا هم في ذلك مرّ بهم بهلول فتحاكموا إليه، فقال: إن جعلتموني قاضياً فاجلسوا مجلس الخصوم بين يدي الحاكم ففعلوا. فقال: إن كنتم صلّيتم عليه صلاة الشيعة فسطّحوا قبره، وإن كنتم صلّيتم عليه صلاة المرجئة فسنّموا قبره.

٢٦٤ - أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: أخبرنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن شبيب الفارسي ساكن بلخ ـ قدم علينا حاجًّا وكان جمّاعاً ـ / قال[4]: أخبرنا بكّار بن عامر البصري قال: أخبرني بعض أهل الكوفة أنه ولد لبعض أمراء الكوفة ابنةٌ، فساءه ذلك وامتنع من الطعام وحجب الناس عنه فأتى بهلولُ حاجبَه فقال: ائذن لي على الأمير. قال: ويحك إن الأمير محزون. قال: وما سبب ذلك؟ قال: ولدت له ابنة. قال: فهو وقت دخولي عليه. فأدخله فلما وقف بين يديه قال: أيها الأمير، ما هذا الحزن؟ أجزعتَ لذات خَلْقٍ سويّ هبة رب العالمين؟ أيسرُّك أنّ مكانها ابناً مثلي؟ قال: ويحك فرّجتَ عنّي. فدعا بالطعام وأذن للناس.

٢٦٥ = أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: سمعت أبا يعلى محمد بن أحمد بن حَمدان(١) الفقيه النسوي(٢) يقول: سمعت ابن الأنباري يقول: بلغني أن بهلولاً عبث به الصبيان ذات يوم ففرّ منهم والتجأ إلى دارٍ وجد بابها مفتوحاً، فدخلها وصاحب الدار قائم له ضفيرتان، فصاح: ما أدخلك داري؟ فقال: «يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون. [في الأرض](٣)».

٢٦٦ = قال: وقالت له أمه [ذات يوم](٤): يا بنيّ، عُدَّ لي المجانين. فقال: اسكتي / ابنك منهم(٥).

٢٦٧ = أخبرنا(٦) محمد قال: أخبرنا الحسن قال: أخبرنا أبو سعيد أحمد رميح(٧) الزيدي قال: حدثنا محمد بن الفرخاني(٨) الأصبهاني قال: حدثني أبي قال: قال عبدالواحد بن زيد: مررت ببهلول المجنون وقد وقف بحذاء رجل يكلّم امرأة فأنشأ يقول(٩):

كـن حـيـيًّـا إذا خـلوتَ بـذنـب ... دون ذي العرش من حكيم مَجيدِ(١٠)
أتـهـاونـتَ بـالإلـه بَـدِيًّـا ... وتـواريـتَ عـن عـيـون الـعـبـيـد
أن ذا العرش دون حبل الوريد ... أقـرأت القـرآن أم لسـت تقـرا(١١)

قال: ثم ولّى(١) وهو يقول: من نوقش الحسابَ غُفر له. قلتُ: «من نوقش الحساب عُذّب»(٢). قال: اسكت يا بطّال إن الكريم إذا قدر غفر.

٢٦٨ = أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: سمعت محمد بن أحمد بن حَمدان يقول: سمعت جعفر بن علي بن شيبان الطحّانَ بالبصرة يقول: سمعت محمد بن جنيد يقول: بلغني أن بهلول المجنون كتب على كفّه:

يـا رب حقّق حسن ظنّي بكـا

وعلى جبّته:

إن كنت عبداً فكن تقيّاً ... واعمل لمولاك ما يريد

٢٦٩ / أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: سمعت ابن أبي نصر[٣] يقول: كنت كثيراً ما أسمع بهلولاً يقول:

إذا خان الأمير وكاتباه ... وقاضي الأرض داهنَ في القضاء

فويلٌ ثم ويلٌ ثم ويلٌ ... لقاضي الأرض من قاضي السماء

٢٧٠ أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: سمعت أبا موسى عمران بن موسى بن الحصين يقول: سمعت أبا علي[٤] يقول: بلغني أن بهلولاً أصابه الجوع ثلاثة أيام، فوسوس له[٥] الشيطان أنّ في جوارك رجلاً له مال كثير فتسلّقْ عليه

داره وخذ بَدْرةً ثم تب إلى الله. تُرى الله لا يغفر لك؟ فقام وتسلق داره ودخل بيته وأخذ كيساً وحمله ثم ثابت إليه نفسه فأخذ بلحيته وقال: سَوأةً لك ونادى: خذوا اللص يا أهل الدار. فوثب أهل الدار وقالوا: أين اللص فقال: ها أنا ذا. فجاؤوا بالسراج فإذا بهلول

فقال: اذهبوا بي إلى السلطان. فقال صاحب الدار: معاذ الله فما الذي حملك على هذا؟ وألحّ عليه فقال: جوع ثلاثة أيام ووسوسة الشيطان. فقال صاحب الدار[١]: يعزّ علي أن يصيب مثلَك الجوع وأنت جاري. ثم أجرى عليه جراية.

٢٧١ ⁕ وقال علي بن سعدان: رأيت / بهلولاً في بعض المقابر يكلّم قبراً، فقلت له: ما تصنع ها هنا؟ أجائعٌ أنت؟ فقال: تنحَّ عني يا بطّال ثم أنشأ يقول:

تجوع فإن الجوع من عَلَم التّقى وإن طويل الجوع يوماً سيشبع

اجتماع سعدون وبهلول:

٢٧٢ ⁕ أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: أخبرنا محمد بن الطيّب قال: حدثنا حفص بن عمر قال: حدثنا علي بن عبدالحميد قال: حدثنا إبراهيم بن الجنيد عن الحسين الصّيقل قال: زار سعدون بهلولاً فنظرتُ إليهما فسمعتُ سعدوناً يقول لبهلول: أوصني وإلاّ أوصيك. فناداه بهلول: أوصني يا أخي فقال: أوصيك بحفظ نفسك من نفسك وفكّها من حبسك، فإن هذه الدنيا ليست لك بدار. فقال له بهلول: وأنا أوصيك يا أخي قال: قل. فقال: اجعل جوارحك مطيّتك، واحمل عليها زاد معرفتك، واسلك بها طريق تَلَفِك[٢] فإن ذَكَّرَتْكَ ثقل الحمل فذكِّرْها عاقبة البلوغ، فلم يزالا يبكيان جميعاً حتى خشيتُ عليهما الفناء.

٢٧٣ ⁕ أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: أخبرنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله[٣] بن شبيب الفارسي قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن لقمان قال: حدثنا عبدالله بن المنذر / بن علي السيرافي قال: حمل الصبيان يوماً على بهلول فهرب منهم فدخل داراً لبعض القرشيين مفتوحة الباب وردّ الباب. وخرج صاحب الدار فرآه فدعا بطبق عليه

طعام، فجعل الصبيان يصيحون على الباب وهو يأكل ويقول ﴿فضَرب بينهم بسورٍ له بابٌ باطنُه فيه الرحمةُ وظاهرُه من قِبَله العذاب﴾[١].

٢٧٤ ⁕ قال عبدالله بن المنذر: وحمل عليه الصبيان ذات يوم فألجؤوه إلى مضيق، فشدّ عليهم بقبضته وهو يقول:

إذا تضايق أمرٌ فانتظرْ فَرَجاً   فأضيقُ الأمر أدناه من الفرج[٢]

٢٧٥ ⁕ أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: سمعت أبا محمد بكّار بن علي الساويّ الراحل إلى الأصمِّ يقول: سمعت أمير بن الجارود يقول: سمعت بشر بن موسى يقول: سمعت الأصمعي يقول: دخلت مقابر البصرة فإذا أنا ببهلول قاعد قد دلّى رِجْلَه في قبر فقلت: يا بهلول ما تصنع ها هنا؟ فقال: أُقاعِدُ من لا يغتابني إن قمتُ ولا أتأذى بهم إن قعدتُ. فقلت له: قد غلا السعر قال: والله ما أبالي ولو بلغ وزن درهمٍ بمثقال، علينا أن نطيع الله وعليه أن يرزقنا ثم قال:

أفٍّ للدنيا وتفّ   كل من فيها يَلُف[٣]

/ كتب بهلول إلى الخلفاء والأمراء:

٢٧٦ ⁕ أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الطيّب ببوشنج قال: حدّثنا حفص بن عمر[٤] قال: حدثني علي بن عبدالحميد قال: حدثنا إبراهيم بن الجنيد عن نعيم[٥] الخشاب قال: كتب بهلول إلى الواثق[٦]: أما بعد، فإن المِراءَ قد لعب بدينك، والأهواء قد أحاطت بك، ومقالات أهل البدع قد سَلَخَت

عليك[1] عقلك، وابن أبـي دؤاد المشؤومُ قد بدّل عليك كلام ربك. اقرأ: ﴿فاخلع نعليك إنك بالواد المقدّس طوى﴾[2]، إلى قوله: ﴿فاعبدني﴾. أفيكون هذا الكلام مخلوقاً فرماك الله بحجارة ﴿من سجّيل منضود مسوّمة عند ربّك وما هي من الظالمين ببعيد﴾[3]. ثم كتب عنوانه: من الخائف الذليل إلى المخالف لكلام الله الجليل[4].

٢٧٧ ـ أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: أخبرنا محمد قال: حدثنا حفصٌ قال: حدثنا علي قال: حدّثنا إبراهيم [5] عن سالم بن عطية قال: كتب بهلول إلى ابن أبـي دؤاد: أما بعد فإنك قد ميّزت كلام الله عزّ وجلّ من الله وزعمتَ أنه مخلوق. فإن يكن ما ذكرتَ باطلاً فرماك الله بقارعةٍ من عنده. ويلك أكنت معه حين كلّم موسى فإن كنت رادّاً عليه فاقرأ: ﴿عَلَيها غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أولئك هُم الكَفَرَةُ الفَجَرَةُ﴾[6]. / ثم كتب عنوانه: من الصادق المتواضع إلى الكاذب المتجبّر.

٢٧٨ ـ أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: أخبرنا محمد قال: حدثنا حفص قال: حدثنا علي قال: حدثنا إبراهيم[7] عن عبدالرحمن الخرقي الهاشمي قال: لمّا

ولي الخلعيّ على شرطة الشرقية ببغداد وكان يرى رأي ابن أبـي دؤاد كتب إليه بهلول: أما بعد فإن السماء بأكنافها ونور كواكبها[8] وضياء شمسها وقمرها وصفوفِ ملائكتها، والعرش والملائكة المقربين والحجب المزدلفة بقدرة خالقها، والنارَ وزبانيتها، والجنة وسدنتها، والأرضين وجبالها، والجبال وكهوفها، والحيتان في بحارها، والوحش في قفارها، والجنّ في أقطارها، والطير في أوكارها، والسباع في وجارها، والأشجار في

ثمارها، والنمل في أجحارها تلعنك وتلعن ابن أبي دؤاد لِما بدّلتُما كلام خالقكما. ثم كتب عنوانه: من الخائف الوجل إلى الكافر المبدّل.

٢٧٩ أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: أخبرنا محمد قال: أخبرنا حفص قال: حدثنا علي قال: حدثنا إبراهيم[1] عن علقمة الكلابي قال: كتب بهلول إلى بِشر المريسي: أما بعد فإنك قد بعتَ الكثير الجليل بالمهين القليل، وبدّلتَ كلام الله وحرّفته، فلعنك الله سائر دهرك، ولعن من قالوا بقولك، / وسلّط عليك عذابه وجعلك ﴿كرمادٍ اشتدت به الريح في يوم عاصف﴾[2]. ثم كتب عنوانه: من المجنون الوَجِل إلى الملعون الفَشِل.

[أحاديثه وأشعاره]:

٢٨٠ قال أبو القاسم بن حبيب[3]: وبهلول هذا يقال له الصيرفي وقد رُوي عنه أحاديث؛ فمنها حديثه عن أيمن بن نائل وقد مضى ذكره[4]. ومنها ما حدّثني [به][5] علي بن محمّد بن جنيد قال: حدثنا أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن بُكير[6] الحافظ أن عبدالله بن الحسين الفارسي حدّثهم عن أحمد بن محمد بن عجلان من حفظِهِ عن عبدالله بن إبراهيم بن قتيبة [قال] حدثني عمي إسماعيل بْنُ قتيبة [قال][7] حدثني بهلول الصيرفي عن عاصم عن ذرٍّ عن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّله الله حتى يلي أمر أمتي رجل من أهل بيتي»[8].

٢٨١ ⇐ أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: وحدثني علي بن محمد[١] قال: حدثني ابن بكير قال: حدثني محمد بن أحمد الوراق عن أبي محمد الحسن بن عثمان بن أحمد بن علي بن عبدالرزاق التمتاميّ البغدادي عن الحسن بن أحمد بن المبارك القشيري عن عمرو بن الأنصاري قال: قال بهلول ورآني أصلي الركعتين / والمؤذن يقيم: أما علمت أن عمرو بن دينار حدثني عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة»!.[٢]

٢٨٢ ⇐ وله[٣] مزيّة على أضرابه من المجانين بتحبير الشعر وتدقيق المعنى في كلٍّ[٤] ضرب منه. فمن ذلك ما حدثنا أبو الحسن[٥] العلوي بهراة: سمعت[٦] الحسين بن أحمد البغدادي قال: سمعت علي بن عبدالصمد الكوفي يقول: خدمتُ بهلولاً عشر سنين أطوف معه حيث طاف، أتسقّط من نوادره وأتلقّف من أشعاره وأذبّ عنه من يؤذيه. وافتقدتُه ذات مرة أيّاماً فلم أره على شدة طلبي له واقتفائي أثره، إلى أن صادفته يوماً في

بعض أزقّة الكوفة، والصبيان حوله يؤذونه[٧] بالحصى. فلما رأيتُه قصدتُ نحوه فسلّمتُ عليه فلم يردّ عليّ إلاّ أن قال: نَحِّ عنّي أولاد الطوامث! ففعلتُ. وجعلتُ أسأله عن حاله إلى أن قلتُ له: ما تشتهي؟ قال: ثريد الباقلاّء بدهن شيرج[٨] أو بدهن الجوز. فهيّأتُها له وأدخلتُه مسجداً ووضعتُ القصعة بين يديه فأقبل يأكل أكلاً دلّني على أنه جائع / فأمهلْتُه إلى أن أتى على بعض ما في القصعة فقلت له: أيها الأستاذ هل أحدثتَ في رِقّة البشرة شيئاً؟ فضرب بيده إلى القصعة وهمّ أن يضرب بها رأسي، فتغافلتُ عنه

إلى أن سكن وشبع[1] وطابت نفسه فقلت: حاجتي أيها الأستاذ فقال: اكتب:

أُضمر أن أضمر حبي له ... فيشتكي إضمار إضماري
رَقَّ فلو مرَّتْ به ذرّةٌ ... لَخَضَّبَتْه[1] بدمٍ جارِ

فقلت: أريد أرقّ من ذا[3] فقال: اكتب:

أضمرَ أن يأخذ المِراة[4] لكي ... ينظرَ تمثاله فأدناها
فجازَ وَهْمُ الضمير منه إلى ... وجنته في الهوى فأدماها

فقلت: أرقّ من ذا أيها الأستاذ فقال: نعم وما أظنّه، اكتب:

شبّهتُه قمراً إذ مرَّ مبتسماً ... فكاد يجرحه التشبيه أوْ كَلَما
ومرّ في خاطري تقبيلُ وجنته ... فسيّلتْ فِكرتي من عارضَيْه دما[5]

فقلت: أرق من ذا [أيها الأستاذ][6] فقال: يا ابن الفاعلة! أرقّ من ذا كيف يكون؟ رويداً لأنظر فعسى طُبخ في المنزل حريرةٌ أرقّ من ذا.

٢٨٣ أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: أخبرنا أبو موسى قال: حدثنا أبو عوانة قال: حدثنا أبو علي قال: حدثنا محمد بن عبدالله[7] قال: بينا[8] أنا / في مسجد الكوفة والإمام يخطب يوم الجمعة، إذ قام رجل به لَمَمٌ[9] وجنون، وكان يتكلم

بالحكمة فقال: ﴿يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾[1]. فقام بهلول فقال: اسكت ﴿ولا تَعْجَلْ بالقرآن من قبل أن يُقْضَى إليك وَحْيُه وقل ربِّ زدني علما﴾[2].

٢٨٤ ــ وقال علي بن خالد: بتُّ ليلة على سور طرسوس، وكان بها بهلول، فركلني برجله ثم أنشأ يقول:

يـا طـالبَ الحُـور أمـا تستحي ... يـحـملك النَّـومُ عـلى السـورِ
وخـاطبُ الحـور طـويـلُ البكـا ... مـقـيَّـدُ الأعـضـاء محـصـورُ
لا يَـطْعَمُ الغَمْضَ فـما إنْ لـه ... راحـةُ جسـمٍ أو يـرى الحـورا
في جنـةٍ زَخْـرَفهـا ذو العُـلا ... يَنْعَمُ فيـهـا كـلّ محـبـور[3]

قال: فانتبهتُ فَزِعاً وما نمتُ في المحرس بعد ذلك.

٢٨٥ ــ وسئل بهلول عن رجل مات وخلّف ابناً وابنةً وزوجة ولم يترك من المال شيئاً، فقال: للابن اليُتم وللابنة الثُكْل وللمرأة[4] خراب البيت وما بقي فللعَصَبة.

٢٨٦ ــ أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: سمعت أبا عمران موسى بن عبدالرحمن السنديَّ يقول: سمعت عبدالله بن محمد الجيزيَّ يقول: سمعت محمد بن مَخلَد الواسطيَّ يقول: / أنشدني بهلول المجنون:

دع الحـرص على الـدنيـا ... وفـي الـعيش فـلا تـطمـعْ
ولا تـجـمـع مـن الـمـال ... فـمـا تـدري لمـن تجمـعْ
فـإن الـرزق مـقـسـوم ... وسـوء الـظن لا يـنـفـعْ
فـقـيـرٌ كـل ذي حـرص ... غـنـيٌ كـل مـن يـقـنـعْ

* * *

نوادر وحكايات جحا

حِمَارُ جُحَا

وفد ثلاثة من العلماء علَى بلـد جُحَا، فاستضافهم السلطان، فأرادوا أن يـناظروا علـماء البـلد، فأرسـل السلطـان إلى جُحَا، فجـاء علـى حِمَاره، وربطـه قريـبًا منـهم، ثـم جلـس. فقـال له السلطان: إن هؤلاء يريدون منـاظرتك. فقال جُحَا: اسألوا. فقال أحدهم: أين هو وسط الدنيا؟ فأشار جُحَا إلى موضع يد حِمَاره اليـمنى وقال: هـو هذا المـكان تمامًا. فـقال أحـد العـلمـاء: وما دليلك؟ فـقال: إن لم تصدقني فعـليك بقياس الدنيـا، فإن ثبت عكـس ما أقول فكـذبني. فقـال الثاني: كـم عدد نجوم السـماء؟ فقال جُحَا: هو كعدد شعر حِمَاري تمامًا. قال وما دليلك؟ قال: عدّهـا فإن زادت واحدة أو نـقصت واحـدة كان الحق مـعك. قال: وهل يعد شعر الحِمَار؟ قال: وهل تعد نجوم السماء؟

فقال الثالث: كم شعرة في لحـيتي؟ فقال جُحَا: بقدر ما في ذيل حِمَاري. قـال: وما دليـلك؟ قال: تقـلع شعـرة من لحيـتك وشعرة مـن ذيل حِمَاري.. وهكذا فإن اتـفق المجموعـان فالحق معي وإلا فالحق معك. فضحك السلطان، وأعطى جُحَا الجائزة.

مَرْضَاةُ النَّاس

ذهب جُحَا وابنه يومًا إلى إحدى القرى وأركب ابنه على الحمَار فصادفه أحدهم فقال: أفٍّ من هذا الزمان، انظروا كيف يركَب هذا الغلام، ويترك والده الشيخ الفانى يمشى على قدميه.

فقال الولد: أبى ألم أقل لك اركب أنت؟! فلا تعاندنى.

فركب جُحَا ونزل الغلام، فصادفهما جماعة فقالوا: أيليق بهذا الشيخ الذى قوى جسمه وعرك السنين أن يدع هذا الغلام الغضّ يمشى وهو يركب؟

فأخذ جُحَا ابنه من يده وأردفه وراءه، وعندما سارا قليلاً صادفهما آخرون فقالوا: تأملوا يا ناس هذا الرجل.. كيف يركب هو وابنه على الحمَار الضعيف؟

فغضب جُحَا ونزلَ هو وابنه وساقا الحمَار يرمح أمامهما وهما يمشيان بذلك الحر الشديد، فصادفهما جماعة، فقالوا: الله الله من هذين اللذين يتركان الحِمَار يرمح وهما يمشيان فى هذا الحر؟!

فحمل جُحَا الحمَار وسار به، فضحك الناس عليه، فقال جُحَا: يا هؤلاء من يَسلم من ألسنة الخلق فلله دره.

جُحَا والمُهْر

كان جُحَا سائراً يومًا فى طريق طويل، فتعب، فجلس تحت ظل شجرة وقال: يارب لو مننتَ عليّ بحِمَار أركبه. وبعد قليل مرّ أمامه فارس معه سوط وخلفه فرس صغير، فلمّا رأى الفارس جُحَا جالسًا أمره أن يقوم ويحمل المهر على ظهره إلى القرية لأن المهر تعب من المشي، فرفض جُحَا ذلك ، فوجد سوط الفارس وقد ألهب ظهره، فقام مسرعًا ، وحمل المهر، وسار به وكان كلما أراد أن ينزله نظر إلى سوط الفارس فأسرع في السير حتى وصل القرية فى عشر دقائق، وأخيراً وقع على وجهه هو والمهر من شدة التعب، فتركه الفارس وسار وخلفه المهر، ولم يفق جُحَا إلا بعد نصف ساعة، فلمّا أفاق ذهب إلى شجرة وجلس تحتها، ورفع رأسه إلى السماء، وقال: يارب، طلبتُ منك حِمَاراً أركبه، فأرسلت لى مُهراً يركبني ! .

عَقْلُ الحِمَارِ

كثيرًا ما نجد فلسفة الرفق بالحيوان يعيشها جُحَا مع حِمَاره، ولكن هل فعلاً كان دائمًا رفيقًا بهذا الحِمَار، أم أنه كان يؤذيه. فقد حمَّل حِمَاره ذات يوم هَشِيمًا يَابِسًا، ثم قال في نفسه: لأنظر هل يلتهب هذا الهشيم أم لا، ثم أخذ قطعة نار وقربها من الهشيم الذي على ظهر الحِمَار، وكان الهواء شديدًا، والرياح قوية، فعلقت النار في الهشيم، واندلع لسان اللهب، وصارت شعلة من النار فوق ظهر الحِمَار المسكين، فراح الحِمَار يقوم ويقعد، ويتهق لشدة الحرارة فوق ظهره، فلما رأى جُحَا أنه لا يمكنه اللحاق بالحِمَار أو الاقتراب منه، أو إنقاذه، صرخ فيه بصوت عال، وقال له: إذا كان فيك عقل أسرع إلى البحيرة.



الحمَار العَاصى

اشتـرى جُحَا حمَاراً من السـوق وأتَى به يجـره خلفـه، فرآه اثنان من اللصـوص فاتفقا عليه، وتقدم أحدهـما فخلع الجرس من رأس الحمَار بـخفـة، وربط رأسه بـالجرس، ومـشى خـلف جُحَا، بينما عَاد الثاني بالحمَار.

ولما وصل جُحَا إلـى البيت الـتفت إلى الحمَار فـرأى الرجل والمقود فى رأسه، فتعجب جُحَا من أمره وقال له: مَنْ أنت؟

فوقف اللص بـاكيًا يمسح دموعه، وقال: يـا سيدى، أنا رجل جاهل أغْضَبْتُ أمى فدعت علىّ أن يمسخنى الله -عز وجل- حمَاراً، فاستجـيب دعاؤها وباعونـى لك فى السوق، وببـركتك ويمنـك قد رجعت الآن إنـسانًا، وانطرح علـى يد جُحَا يقبـلها داعيًا شاكراً، فـصدقه جُحَا وتركه بعـد أن نصحه بأن يطـيع أمه ويرضيها.

وفى اليـوم الثانى، نـزل جُحَا إلى السوق لـشراء حمَار آخر، فرأى الحمَار نفسَه، فعرفه فتقدم منه فوراً وهمس فى أذنه قائلاً: أظنك لم تسمع كلامى وأغضبتَ أمك، والله لن أشتريك.

الذَّيْلُ مَوجُودٌ

قد يريد الإنسان إصلاح شىء هين، فيفسد شيئًا كبيراً، فماذا يفعل ليعيد ما أفسده؟ تعالَ نشاهد ماذا فعل جُحَا عندما احتاج إلى عدة دراهم..

أخذ حِمَاره ليبيعه فى السوق، وأثناء الطريق نظر جُحَا إلى حِمَاره، فرأى ذيل الحِمَار ملوثًا، فاستقبح هذا المنظر، وفكر كيف يعالج ذلك ويصلحه حتى يبيع الحِمَار بسعر كبير، فما كان منه إلا أن أخذ سكينًا وقطع الذيل وخبَّأهُ.

ولَمَّا دخل السوق اجتمع عليه المشترون، ولكنهم أحجموا عن الشراء لما رأوا ما فى الحِمَار من عيب، فلمّا علم جُحَا سبب إحجامهم عن الشراء قال لهم: فلنتفق أولاً على السعر، والذيل موجود فى مكان قريب.

لَمْ يَرْضَ الحمَارُ

حِمَار جُحَا ليس كأى حِمَار، إنه حِمَار من نوع خاص، يرفض ويرضى.. يحب ويكره.. يوافق ولا يوافق.. والذى صبغه بهذه الصفات هو جُحَا نفسه...

وقد حدثَ أن رجلاً جاءه ذات يوم، يطلب منه إعارة حمَاره لمدة ساعة، ينقل عليه بعض المتاع الخاص به، فقال له جُحَا: أنا ليس عندى مانع فى هذا الأمر، ولكن لابد أن أذهب إلى الحِمَار لأستشيره، فعساه يقبل ذلك.

ثم دخل جُحَا الإصطبل.. ومكث به وقتًا طويلاً، ثم خرج إلى الرجل وقال له: لقد حاولتُ إقناع الحِمَار كثيراً أن يذهب معك ، ولكنه لم يرضَ؛ لأنه يزعم أنك سوف تضربه ضربًا مبرحًا، وتشتمه هو وصاحبه.

الحِمَارُ الشَّرِسُ

كَانَ لَدَى جُحَا حِمَارٌ قَوِيٌّ شديدٌ، شرس، يعض، ويرفس مَن يقترب منه، فأخذه جُحَا إلى السوق، ووقف بجانبه يعرضه للبيع، فجاء أحد الناس ليشتريه، فمد يده إلى فم الحِمَار ليعرف عمره حسب العادة، فعضه الحِمَار عضة بالغة، فراح الرجل يشتم الحِمَار ويسبه، وتركه وانصرف..

فجاء مشترٍ آخر، وأراد أن يمسك ذيل الحِمَار ليعرف حالته، فرفسه الحمار فأوقعه على الأرض، فأخذ الرجل فى الشتم والسب وذهب.

وكان الدلال يلاحظ ذلك كله، فاقترب من جُحَا، وقال له: هذا الحِمَار لا يبتاعه أحد، فهو يعض ويرفس.

فقال له جُحَا: نعم، وأنا لم أحضره للبيع، وإنما جئتُ به ليعلم المسلمون ماذا يُصيبنى منه..

لا ذَنبَ عَلَيه

كان إصْطَبْلُ جُحَا مغلقًا بخشبة ضَعيفة، فسُرق حمَاره، فطلب من أصحابه أن يساعدوه لمعرفة السارق.. فقال أحدهم: كان يجب أن تضع قفلاً على باب الإصطبل، وإلا فإن عمل أكرة خشبية لا يفيد؛ إذ بأقل حركة يمكن كسرها .

وقال آخر: هل كنتَ نائمًا ولم تدركْ أن الذى سرق الحِمَار أخرجه من الباب لا أنه وضعه فى عبه، فأين كنت حينئذ؟

وقال ثالث: واعلم أنى فى الليل أقفل باب دارى من الخلف، وأضع المفتاح تحت رأسى فبالطبع لا يجسر اللصوص أن يكسروا القفل.

وهكذا ..لم يقم معه أحد وإنما أخذوا يتداولون مثل هذه العبارات التى ضايقت الشيخ، وكانت كلها تعنيفًا له ولَوْمًا على تفريطه، فنفذ صبره وقال: أيها السادة، إنكم تقولون الحق، وكل ذلك عائد على الماضى ولا يفيد الآن، إلا أنى أرجو منكم الإنصاف، فهل كان الحق كله عليّ؟ بينما اللص لا ذنب عليه أبدًا ؟

عَليقُ الحِمَار

طَلَبَ جُحَا من زوجته أن تضعَ عليقًا للحمَار، فرفضت، فاتفقا على أن الذى يتكلم أولاً يضع العليق للحِمَار. فقام جُحَا إلى جنب من جوانب الغرفة وظل ساكتًا ساعات طويلة، بينما ذهبت زوجته إلى إحدى جارتها، وحكت لهم القصة وطلبت منهم أن يرسلوا له طبقًا من الشُّرْبَة لأنه عنيد ولن يطيعها، فأرسلوا ابنًا لهم بذلك.

وأثناء ذلك، جاء لص وسرق كل ما فى البيت أمام عين جُحَا حتى سرق القاووق من على رأسه فلم يتحرك ولم يهتم، وجاء الغلام الشُّرْبَة فأشار له جُحَا على رأسه ليخبره بالإشارة أن اللص سرق قاووقه وسرق البيت، فظن الغلام أنه يريد أن يضع الشُّرْبَة على رأسه ففعل، ولم يتحرك جُحَا، وأخيراً فهم الغلام بالإشارة أن البيت سرق، فأخبر زوجة جُحَا، فجاءت مسرعة، فلمّا رأت ذلك صرخت قائلة: ما هذا الحال؟!

وهنا تكلم جُحَا قائلاً: ها قد تكلمتِ قبلي، اذهبى وأعطى الحمَار عليقه وكفاك عناداً.

الحمَارُ الضَّائعُ

نوادر جُحَا مع حِمَاره أكثرمن أن تحصى، فكم كان لـه من موقـف طريف مـع هذا الحِمَار الفـيلسـوف، ولذلك كـان هذا الحِمَار عزيزًا جـدًا عند جُحَا، يحـبه جُحَا ويفضـله أحيانًا عـلى أبنائه وزوجـته.. ولكن ذات يوم فقـد جُحَا هذا الحِمَار، وضاع منه، فـأصيب جُحَا بحـزن شديد، وقام يـبحث عن حِمَاره هـنا وهناك، ويتلـفت عليه فى كل مكـان، وقد استفز الناس ليـبحثوا معه عن حِمَاره العزيز، ولكن الـناس سمعت جُحَا وهو يبحث يحـمد اللـه شاكرًا، فـتعجـبوا من ذلـك، وقد علـموا أن لجُحَا فلـسفة فى كـل موقف، فأحـبوا أن يعـرفوا فلسـفته فى حـمده وشكره لله على ضياع حِمَاره، فسألوه عن ذلك: لماذا تشكر الله وقد ضاع الحِمَار وأنت تبحث عنه؟

فأجاب جُحَا قائـلاً: أشكره لأنى لـم أكن راكـبًا على الحِمَار، وإلا فلو كنتُ راكبًا عليه لضعتُ معه.

الحِمَارُ الرِّيَاضِيُّ

تعرض جُحَا فى شتاء إحدى السنين إلى ضائقة مالية، فقال فى نفسه: عجبًا، ألا يمكننى أن أقلل علف الحِمَار؟

وراح فى كل يوم ينقص شيئًا من العلف المعتاد، فلم يؤثر ذلك فى الحِمَار، فأنقص حفنة كبيرة، فلم يهتم الحِمَار بذلك.. وهكذا خفَّض جُحَا العلف لدرجة النصف من المعتاد، فلم ير بأسًا فى الحِمَار، فأراد أن ينقص من التبن، فأنقص منه حفنة مع نقص الشعير، فلمّا أصبح وجد الحِمَار ميتًا، فأسف على ذلك، وقال : يا للأسف، عودنا الحِمَار على الرياضة، ولكن لم يساعده الأجل.

الحِمَارُ القَارِئُ

كان لـدى تيمـور لنكَ حِمَارٌ أهـداهُ له بـعض النـاس، فأراد تيمـور أن يميز هذا الحِمَار عن باقـى الحمير، لأنه حِمَار تـيمور، فلابد أن يـختلف عن باقـى الحمير، فأعـلن فى المدينة أنـه يريد رجلاً يـعلم حِمَاره الـقراءة، ومن يـتقـدم ولا يستـطيع فـسوف يضرب عنقه بـالسيف، فتقدم جُحَا لتلك المهمـة الصعبة، وأخذ الحِمَار إلى البيت، وأحضر كتابًا كـبيراً من عدة صفحات وكان يضع بين كل صفحة بعض الـشعير والبرسيم، فإذا جاع الحِمَار قلـب له الصفـحات، ويأكل الحِمَار مـا بينـها، وظل علـى ذلك شـهراً كـامـلاً حـتى تـرسـخ فى ذهـن الحِمَار أن الـطـعام بـين صفحات الكتاب، وكان الحِمَار يقلب الصفحات بلسانه ويأكل ما بينـها، وحان موعد الاختبار، فـجمع تيمور النـاس فى ميدان وجاء جُحَا بالحِمَار وهو فى شدة الجوع، ثم وضع أمامه الكتاب وليس بين صفحاته طعام، فلمّا رأى الحِمَار الكتاب توجه نحوه وقلب صفحاته يبحث عن الطعام وينهق، والكل يصفق له وقد ظنوه يقرأ الكتاب.

اذْهَبْ مع الحمَار

كَانَ جُحَا يكـره الأغبيـاء، أو يكره الذيـن يتغـابون علـيه، أو يحـاولون استفـزازه بأسئـلة تُثير الـغضب والـضيق، فكـان يرد عليـهم بإجابـات ترد عليهـم غباءهم، وتجعـل منهم أضـحوكة وسخريـة.. ومن ذلك أنه كـان يسوق يومًا حِمَاره إلـى السوق، وعليه بعض العنب يريد بيعه هناك..

وأثناء الطـريق، التقى به أحد الـناس ، وعَرَفَ الرَّجُلُ الحالَ التى أمـامه وما يفـعل جُحَا ، ورافقه فى الـطريق قلـيلاً، ثم أراد هـذا الـرجل أن يمـازح جُحَا، فـقـال له: إلـى أيـن تـسيـر أنـت وحِمَارك؟

ففكر جُحَا قليلاً، ثم أشـار إلى الحِمَار، وقال للرجل: اذهب أنتَ مـع الحِمَار رويداً ، وأنا لى شـغل قليـل هنا، سوف يـريك الحِمَار إلى أين هو ذاهب، ويجيبك عمّا تسألنى عنه.

البَحْثُ عَن الحِمَار

يُقال فى الأمثال: ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة.

بمعنى أن مَن يهمه أمر تجده يقوم به بجد واجتهاد، أما من لا يعنيه أمر كلف به يقوم به غير مهتم.. فما بالنا إذا كلف إنسان بإصلاح أمر هو الذى أفسده.. فكيف يكون حاله، هذا ما حدث مع جُحَا حين ضاع حِمَار الحاكم، فخرج الناس يبحثون عن هذا الحِمَار فوجدوا جُحَا ذاهبًا إلى بستانه، فقالوا له: بما إننا ذاهبون إلى جهة واحدة فاشترك معنا فى التفتيش على الحِمَار .

فلم ير الشيخ مانعًا من إجابة طلبهم، ومشى وهو يختال ويتبختر بين البساتين وهو يغنى، فتعجب الناس من أمره، وانتهره أحدهم قائلاً: أى نوع من التفتيش هذا؟

فأجاب جُحَا بكل برود قائلا : من أضاع حِمَار غيره يفتش عليه وهو يغنى.

رأسُ الحمارِ

أراد جُحَا أن يزين حماره، فذهب إلى السوق ليشترى مقوداً (المقود: شيء يوضع على رأس الحمار وفمه ليجر منه)، فلما دخل السوق ذهب إلى البائعين، وظل أكثر من ثلاث ساعات ينتقل من بائع لآخر، يتفحص بضاعة هذا، وبضاعة ذاك.. حتى أعجبه مقود جميل، مزين بالودع، فسأل عن ثمنه، فوجده غالى الثمن، ولكنه رغم ذلك اشتراه، ودفع ثمنه حبًا فى حماره، ثم وضع المقود للحمار، وصار يركبه مفتخراً به..

وذات يوم.. غفل جُحَا عن حماره، فسرق مقوده المزين، فلما رأى جُحَا ذلك حزن حزنًا شديداً، وأمسك بأذنى الحمار وعاد به إلى البيت.

وبعد يومين.. ذهب جُحَا إلى السوق،فرأى المقود برأس حمار كبير، فتعجب من ذلك، وقال: هذا الرأس رأس حمارى، ولكن كيف تبدل جسمه؟!

الفَيْلَسُوفُ جُحَا

وَصَلَ إلـى (آق شهـر) أحـد العـلـماء، وذهـب إلـى قصـر السلطان وأخبره أنه يتحدى علـماء هذه البلدة، فأرسل السلطان إلى جُحَا، فجاءه على الفور، فطلب مـنه أن يتصدى له، ويجيبه عما يريد، فـقَالَ جُحَا: هات ما عندك. فقام العـالم ورسم دائرة على الأرض، وانتظر الجواب. فقام جُحَا ووضع عصاه بنصف الدائرة تمامًا وشطرها شطريـن، ثم خط خطًا آخر و قسم الدائرة إلى أربعة جـعل ثلاثة منها إلـى جهته إشارة بيده وواحـدة منها إلى جهة العالِم. فقَالَ العالم: هذا أعلم رَجُل فِي زمانه، فإني قد أشرتُ إلى الأرض كـبيرة ومدورة، فـصدق كلامي وقَالَ إنـها مقسـومة شطريـن، ثم قسمـها أربعة مـشيراً إلى أن ثـلاثة أرباع الأرض بحـراً والربـع يابس. ثم انصـرف، فأعـطى الـسلـطان مكـافأة كبيـرة لجُحَا، وسأله عن ذلـك، فقَالَ: هذا الرَجُل جـائع مثلي، فعندما عمل دائرة أشار أن عنده فطيرة، فقسمتها نصفين أنا نصف وهو نصف، ثم قسمتهـا أربعة أقسام، لنفسي ثلاثة وله قسم واحد، فرض بذلك. فضحك الجميع وانصرفوا.

بطِّيخُ جُحَا

خَرَجَ جُحَا يومًا لـلاحتـطاب فِي الجـبل، وأخـذ معـه بضـع بطيخات، يـروى بها عطشه فِي ذلك الجبـل الذى لا ماء فيه ولا غذاء..

وراح جُحَا يسير فِي الجبل..وكَانَ كلما أصابه العطش يكسر بطيخة، فيأكـل منها قطعة صغيرة ثم يرميـها على مزبلة كَانَت هناك بحجة أنها غير ناضجة..

وظَلَّ على ذلك حتى أتى على جميـع ما معه من البطيخ على هذه الصورة، يأكل قسمًا قليلاً ويرمى بالباقى على المزبلة..

ولـمَّا اشـتدت حرارة الشمس نـصف النهار أحس بـعطش شديد، فـلم ير بُدًا من الـعودة إلى بقـايا البطـيخ المطروحـة بين الأقذار، فتـناولها قطعـة قطعة وهو يـقول لنفسه: هـذه ما زالت نظيـفة، وهذه لم يـصبها شـيء.. وظل هكذا حـتى أكل جمـيع البطيخ الذى رمى به من قبل فِي المزبلة.

ثَوْبُ الْمَعْرِفَة

مِنَ المعروفَ أنَّ التميز بين الأشياء يَكونَ بالاختلاف بينها فِى عناصـر جوهرية، ولـيس فِى أشياء عارضـة قد تزول أو تتـغير، فمثلاً الـفرق بين الفيل والحـمار الوحشى أن الفيـل له خرطوم طويـل والحمار مخـطط اللون..ولـكن جُحَا يمـيز بين الأشـياء بعـناصر غريـبة، فمثـلاً عنده الفـرق بين الرَجُل والمـرأة هو فِى الثيـاب، فالرَجُل عنده لا بد أن يـكون لابسًا عمامة وعـباءة، أما المرأة فتلبـس جلبابًا وخماراً... فإذا لبس الرَجُل لـباسًا غير ذلك فلن يعرفـه جُحَا..ويدلنا على هذا ما حكـى أنه كَانَ يومًا فِى بلد سياحى، فقـيل له: إن سائحين أتوا حديـثًا من بلاد الغرب، وإن أهل تلك الـبلاد يظلون عراة، ولا يلـبسون إلا ما يستـر عورتهم فقـط، فتـعجـب جُحَا من هـذا الأمر، وقَالَ فِى دهـشة: عـجبًا! وكيف تعرف الرجال من النساء ؟!

طول الأرض

كَانَ جُحَا يومًا جالسًا فِي المسجد، وقد جمع حوله بعض النَّاس يعظهم ويرشدهم، ويحكي لهم طرائف ونوادر عجيبة كلها عظات وعبر.. وقد اندهش النَّاس من كلامه، وأعجبوا به إعجابًا شديدًا، حتى رفعوه مكَانًا عليًا، ولقبوه بأعلم أهل الأرض فِي زمانه..

وانتهز أحدهم هذه الفرصة، وقَالَ له: يا شيخنا الجليل، أنت عالمنا، وعندنا مشكلة، نرجو أن نجد لها حلاً عندك.

فسأله فِي ثقة: وهذه المشكلة خاصة بك وحدك أم بالمجتمع والنَّاس؟ فقَالَ: بل هي مشكلة عامة. فقَالَ جُحَا: طالما أنها مشكلة عامة لابد أن أجد لكم حلاً ، فما هي مشكلتكم؟

فقَالُوا : الدنيا. فقَالَ: ما لها؟ قَالُوا: كم ذراعًا؟ فقَالَ على الفور: عشرة آلاف ذراع. فقَالُوا: وكيف علمتَ ذلك؟

فقَالَ: إن كنتم تشكون فِي كلامي فقيسوا أنتم.

فقَالُوا: لا نشك في كلامك يا شيخنا، واقتنع الجميع بذلك.

القَاضي جُحَا

تولى جُحَا القضاء في أحد البلاد، فجاءه ذات يوم رجل يصيح بصوت عال: يا سيدى القاضى لقد سُرقت طنبورتى (آلة موسيقية) ووجدتُها في السوق مع فلان فخذها لى منه.

فهدَّأه جُحَا، وأمر المحضر أن يذهب إلى السوق ويأتى بالرجل، ولما حضر سأله جُحَا عن الطنبورة، فقال: هى ملكى وقد اشتريتُها من بلد آخر. فسأله جُحَا: هل عندك شهود؟ فقال: نعم. وأحضر في الحال شاهدين، فشهدا أن الطنبورة له.

فأراد جُحَا أن يحكم للمدعَى عليه، فاعترضه المدعِى قائلاً: أريد تزكية الشاهدين قبل الحكم، وإنى أجرح شهادتهما بكون أحدهما بائع خمر والثانى خليعًا.

فتأمل جُحَا قليلاً ثم قال: وهل يحتاج مثل هذين الشاهدين إلى تزكية أعظم مما تقول، وأى شاهدين أحسن منهما لدعوى طنبورة؟

جُحَا والقاضي

جاء الشرطي برجلين إلى مجلس القضاء، وجُحَا عند القاضي يحدثه في بعض شئونه، فعرض الشرطي قضية الرجلين، وقال إنه وجد في الطريق بين بيتيهما أقذاراً ممنوعة، وادعى كل منهما أن جاره مطالب بإزالتها، لأنه هو الذي وضعها في عرض الطريق، وأراد القاضي أن يسخر من جُحَا، ويفضحه، لأن جحا يدَّعي العلم ويتصدى للإفتاء، فأحال القاضي عليه القضية، وسأله أن يقضي فيها بالحق بين الرجلين.

فقبل جُحَا مقترح القاضي، وسأل الشرطي: «هل كانت الأقذار أقرب إلى دار هذا أو دار ذاك»؟

قال الشرطي: «إنها كانت في الوسط بينهما».

قال جُحَا: «يزيلها إذن مولانا القاضي، لأنها في الطريق العام، ومولانا القاضي هو المسئول عن المدينة»!

جَحَا يَضرِبَ القَاضِى

كـان جُحَا ماراً فـى السـوق يومًا، فـجاءه رجـل من خـلفـه وصفـعه صفـعة شديـدة فالتـفت إلـيه وقال: مـا هذا؟ فاعـتذر الصافـع بقوله: عـفواً يا سيدى الـشيخ، ظنـنتك أحد أصـدقائى الذى لا تكليف بينى وبينهم.

فـلم يتركـه جُحَا وسـاقه إلـى المحكـمـة حيـث رفع الأمـر للقاضى، واتـفق أن الرجل كان من أصدقاء الـقاضى، فلمّا رآه مع جُحَا وسـمع دعواهمـا حكم بأن يـدفع الرجل لجُحَا عـشرة جنيهات، وقال للرجل: اذهب وأحضر الجنيهات لجُحَا.

وهكذا فتح الـقاضى المجال لفرار الرجل، فـانتظر جُحَا عدة ساعات، ثم أدرك عند ذلك أن القاضى خدعه وصرف الرجل، فنظـر إلى القاضى فرآه مـنشغلاً فى أوراقـه فتقدم إليه وصـفعه صفعـة دوّى لها المكـان، وقال: يا مولاى الـقاضى، أنا مـشغول جداً وليس عندى وقت للانتظار، فأرجو أن تأخذ الدراهم متّى جاء الرجل. ثم خرج جحا مسرعًا.

جُحَا وأوامرُ السُّلطَان

جيء بفارس من عساكر تيمورلنك، وكان جُحَا حاضراً فأمر تيمور بضرب الفارس ثمانين عصا، فتبسم جُحَا.

غضب تيمور وقال: اضربوه خمسمائة عَصَا.

فأخذ جُحَا يضحك قهقهة، فغضب تيمور غضبًا شديداً وتطاير الشرر من عينيه وقال: اضربوه ثمانمائة عصا.

فتراخت أعضاء جُحَا خوفًا واشتد فى الضحك، فنهض تيمور وقال: يا خائن الشرع أنتَ تستخف بالحد الشرعى الذى أقيمه، وعمامتك بقدر حجر الطاحونة، مع أنك أمام جبار ترتجف له الأرض.

فأجابه جُحَا: تقول صوابًا وأنا أعلم أهمية المسألة، ولكنى حائر فى فكرة، فإما أنك لا تعلم الأرقام أو أنك لست مثلنا من المخلوقات، فأين الثمانون عصا من الثمانمائة؟ الأمر باللسان هين، ولكن تنفيذ الأمر هو الصعب.. فَمَن يتحمَّل الثمانمائة عصا؟

عَمَامَةُ جُحَا

ورد على أحـد العامة مـن أهل أذربيجان كـتاب بالفـارسية، فـصادف جُحَا فـى طريـقه، وقـال لـه: اقرأ لـى هذا المكتـوب وأفهمنى معناه.

فأخذ جُحَا الـكتاب بيـده، ولمّا رآه باللغـة الفارسيـة، قال له: فليقرأه لـك غيرى. وأراد أن يعيده إليه، فأصـر الرجل أن يقرأه جُحَا، فلمّا رأى جُحَا ذلك قال له: إن أفكارى مـضطربة لكونى تشاجرت مع امرأتى لا سيما وأن هذه الـكتابة لو كانت تركية لما كنت أقدر على قراءتها بهذا الخط.

فـعجـب الرجـل، وقـال: أيهـا الشـيـخ إذا كنـت لا تعـرف الفـارسية ولا القـراءة فلمـاذا تضع عـلى رأسك هذا الـقاووق وتتعمم بهذه العمامة التى توازى حجر الطاحون وتجعل نفسك فى ميدان الشيوخ؟

فغـضب جُحَا، ورمـاه بقـاووقه وجبـته وقـال له: إذا كـانت القراءة منـحصرة بالقاووق والجبـة فالبسها أنـت واقرأ لى أنت سطرين من هذا الكتاب لأرى.



الفهرس